عـــود الـنـــد

مجلة ثقافية فصلية

ISSN 1756-4212

الناشر: د. عدلي الهـواري

العدد الفصلي 35: شتاء 2025

بحوث ومقالات ونصوص

انتخابات الرئاسة الأميركية: التاريخ يعيد نفسه

المحتويات

عدلي الهواري **3**
كلمة العدد الفصلي 35: التاريخ يكرر نفسه

د. نادية هناوي **10**
الكائنات المجهرية وأدوارها غير الواقعية

فراس حج محمد.. .. .. **24**
الصورة في الحقل التعليمي

شجاع الصفدي: غزة: ملف العدد 35 .. .. **28**
كيف أنقذ وردة من الذبول؟

مريم محمد قوّش: غزة: ملف العدد 35 .. .. **31**
شهيد الاحتلال والخذلان

فنار عبد الغني. **34**
حكايات البحث عن شقة

د. فراس ميهوب **37**
كلانا نعشق الموسيقى

زكي شيرخان.. .. .. **39**
عنق الزجاجة

إصدارات جديدة: جابر سليمان ومحمد الحلاج. **48**
الدَّولة الديمقراطيَّة الواحدة في فلسطين

إصدارات جديدة: إنصاف قلعجي **51**
باب الحنين

في ذمة الله **52**
الشاعر زهير زقطان

مختارات: رشاد أبو شاور **53**
آه يا بيروت: نِعَم، ذلك الصوت الجنوبي

مختارات: الآنسة دانير (فدوى طوقان) **56**
في ليالي الملاح التائه

غلاف العدد الفصلي 35 .. .. **59**
عن لوحة الغلاف

عدلي الهواري

كلمة العدد الفصلي 35: التاريخ يكرر نفسه

انتخابات الرئاسة الأميركية 2024

كرر التاريخ نفسه بكثير من تطابق التفاصيل خلال ثماني سنوات في سياق انتخابات الرئاسة الأميركية. في عام 2016، كانت المنافسة النهائية بين هيلاري كلنتون، مرشحة الحزب الديمقراطي، ودونالد ترمب، مرشح الحزب الجمهوري.

وسائل الإعلام كانت منحازة تماما لهيلاري كلنتون. وتعرض دونالد ترمب للكثير من السخرية قبل وأثناء خوض المنافسة على ترشيح الحزب الجمهوري ثم على منصب الرئيس. وفي المناظرة بين الاثنين، وصفت كلنتون ترمب بأنه دمية في أيدي روسيا. وفي أحد خطاباتها قالت: «إن نصف مؤيدي ترمب يمكن وضعهم في سلة المثيرين للاشمئزاز»[1] لأنهم من العنصريين ومن شاكلهم من متعصبين.

كذلك أجمعت استطلاعات الرأي على تفوق كلنتون على ترمب. واعتمد بعض الإعلاميين على نتائج الاستطلاعات للتنبؤ بثقة أن ترمب لن يفوز. الناخبون كان لهم رأي آخر. فاز ترمب رغم كل التوقعات. صحيح أن فوزه كان يمكن اعتباره ضربة حظ، فهو لم يحصل على أغلبية أصوات الناخبين.

ولكن انتخابات الرئاسة تتم وفق طريقة غير مباشرة (نظام «المجمع الانتخابي») تجعل من الممكن الفوز بالرئاسة دون الحصول على أغلبية أصوات الناخبين.

تصرف ترمب فور تولي الرئاسة بأسلوبه العشوائي المعروف، الذي بدأ بفرض حظر على السفر إلى الولايات المتحدة من بعض الدول ذات الأغلبية المسلمة[2]. وواجه أثناء رئاسته العديد من التحديات القانونية والسياسية، بما في ذلك محاولة خلعه من منصبه. وفي مجال السياسة الخارجية، وجّه ترمب لطمة كبرى للأمتين العربية والإسلامية، وقرارات الأمم المتحدة، والقانون الدولي، بقراره اعتبار القدس عاصمة إسرائيل، ونقل مقر السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس[3]، ثم الترويج لصفاقة القرن القائمة على تطبيع الدول العربية العلاقات مع إسرائيل، وأقصى ما يحصل عليه الفلسطينيون من هذا التطبيع تحسين ظروف معيشتهم من خلال المشاريع التي تنفذ في سياق تطبيق صفاقة القرن[4].

ولكن الترويج لفوائد السلام في هذه المبادرة لم يكن جديدا، فبعد اتفاقية أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل في عام 1993، وتوقيع الأردن وإسرائيل معاهدة سلام عام 1994، كثر الحديث عن جني فوائد السلام، وعُقد أكثر من مرة مؤتمر اقتصادي دولي لإنشاء مؤسسات تساعد على قطف ثمار السلام، بما في ذلك بنك إقليمي. ثم توقف انعقاد المؤتمر ولم يقطف أحد في العالم العربي ثمار السلام الموعودة[5].

في عام 2020، كان التنافس في انتخابات الرئاسة بين جو بايدن، مرشح الحزب الديمقراطي، ودونالد ترمب، مرشح الحزب الجمهوري. رفض ترمب الاعتراف بنتائج انتخابات الرئاسة التي أعلنت فوز بايدن ونائبته كامالا هاريس فيها. واقتحم مؤيدوه مقر الكونغرس الأميركي، وامتنع عن حضور حفل تنصيب بايدن.

خلال السنوات الأربع بين انتخاب بايدن، وموعد الانتخابات في عام 2024، واجه ترمب تحديات قانونية متعددة كان واضحا أن أحد أهدافها إدانته وإصدار حكم عليه بالسجن، وإخراجه من الساحة السياسية. وقد نجحت إحدى المحاولات القانونية في إدانة ترمب، وكان أساس القضية تهمة تزوير

سجلات شركته للتمويه على مبلغ دُفع لممثلة أفلام إباحية لشراء صمتها على علاقة قديمة لها مع ترمب[6].

ولأن المسار القضائي بطيء نظرا لوجود مراحل من الاستئناف ووصول القضايا أحيانا إلى المحكمة العليا، لم تتحرك القضايا بالسرعة الكافية للحصول على الغايات المتوخاة منها. وزادت العراقيل في سبيل نجاحها عندما وصلت قضية إلى المحكمة العليا، فقرر قضاتها أن لترمب حصانة من المقاضاة على أفعاله أثناء توليه الرئاسة[7]. لم تصدر كل الأحكام في القضايا المرفوعة على ترمب قبل حلول موعد الانتخابات الأميركية في تشرين الثاني (نوفمبر) 20024، وواصل حملته للعودة إلى البيت الأبيض.

في انتخابات الرئاسة لعام 2024، كان التنافس بين جو بايدن، مرشح الحزب الديموقراطي، ودونالد ترمب مرشح الحزب الجمهوري. في مناظرة بين الاثنين، ظهرت على بايدن علامات الإصابة بالخرف، مؤكدة ما كان يلاحظ في أكثر من فيديو في مناسبات سابقة، ومع ذلك كان هناك نفي لما يراه الناس بأعينهم. لكن المناظرة بيّنت أن بايدن ليس في وضع يمكّنه من الحكم بكامل قواه العقلية. ولذا، سارع كل من يهمهم الأمر من ساسة الحزب الديمقراطي والمتبرعين له، ومؤيديه من المشاهير، إلى الطلب من بايدن الانسحاب، فلبّى طلبهم بعد أيام [8]، وتم اختيار كامالا هاريس لتكون مرشحة الحزب الديمقراطي مقابل ترمب. هناك من اعتبر هذا التبديل السريع منافيا للإجراءات الديمقراطية التي تقود إلى اختيار مرشح الحزب للرئاسة، فمن يحصل على الترشيح هذا، عليه الفوز في منافسات مع مرشحين آخرين في كل الولايات، ومن يحصل على أعلى الأصوات يتم اختياره رسميا.

كرر التاريخ نفسه في عام 2024 من ناحية وجود تنافس بين امرأة من الحزب الديمقراطي، ورجل من الحزب الجمهوري. وكرر التاريخ نفسه فيما يتعلق بموقف وسائل الإعلام المناوئ لترمب. كذلك تكرر فيما يتعلق بنتائج استطلاعات الرأي العام التي أشارت إلى تفوق هاريس على ترمب. وتكرر هجاء

مؤيدي ترمب، ليس على لسان هاريس هذه المرة، بل تطوع بايدن لوصف مؤيدي ترمب بأنهم «قمامة» [9] بعد أن وصف كوميدي في مهرجان لترمب بورتوريكو بأنها جزيرة عائمة من القمامة (لبورتو ريكو وضع خاص فهي ليست ولاية أميركية، ولكن سكانها مواطنون أميركيون). وعلاوة على ذلك كله، تعرض ترمب إلى محاولة اغتيال نجا منها بأعجوبة، فالطلقة لو أصابت رأسه من غير المحتمل أن ينجو منها، لكنها أصابت طرف أذنه، وتمكن من الوقوف على قدميه رافعا قبضته في الهواء خلال فترة قصيرة.

فاز ترمب في انتخابات 2024 وحقق فوزا أفضل من فوز 2016، فقد حصل على أغلبية أصوات الناخبين هذه المرة، وعلى أغلبية كبيرة في أصوات «المجمع الانتخابي» الذي شكليا ورسميا هو الهيئة التي تنتخب الرئيس. وتهاوى الوهم الذي نسجته وسائل الإعلام عن كون فوز هاريس مؤكدا [10]. واستطلاعات الرأي تستحق الشك في كونها أساسا صالحا لمعرفة آراء الجمهور.

كل أربع سنوات يتم في العالم العربي عقد مقارنة بين المرشحين الرئاسيين لتقييم من سيكون أفضل بالنسبة للمنطقة العربية، وهذه مقارنة مضلِّلة، فالدول العربية ككتلة، أو كل دولة على حدة، لا تمثل قوة إقليمية يحسب لها حساب، بل المنطقة ككل، والدول فرادى، تدور في فلك الولايات المتحدة بدرجات مختلفة من القرب.

ولأن استطلاعات الرأي كانت تشير أيضا إلى تقارب الأصوات في سبع ولايات لا تصوت للحزب الجمهوري أو الديمقراطي دائما، فقد كثر الحديث عن حاجة هاريس لكسب أصوات الناخبين من أصل عربي في ولاية ميتشغان، فهي إحدى الولايات السبع «المتأرجحة»، وفيها أعداد كبيرة من المواطنين من أصل عربي. لكن هاريس لم تحرص على ذلك، وكانت تعاير من يقاطعها أثناء إلقائها خطابا بقولها: «إذا أردت أن تنتخب ترمب، فقل ذلك»، ثم تضيف لتبدو حازمة: «إنني أتكلم»[11]. ولو حرصت هاريس على كسب أصوات الناخبين من أصول عربية في ميتشغان، لما ساعدها ذلك على الفوز. بعبارة أخرى، أصوات الناخبين

الأميركيين من أصل عربي على أهميتها في ميتشغان أقل من أن يكون لها تأثير يماثل أصوات المواطنين السود أو المنحدرين من دول أميركا اللاتينية في عموم الولايات المتحدة.

التقييم لمن سيكون أفضل للعالم العربي حدث أيضا داخل أوساط العرب في الولايات المتحدة. هشاشة أساس المقارنة بين هاريس وترمب محليا لا تختلف عن مثيلتها في العالم العربي البعيد. ولكن بصفتهم مواطنين أميركيين ويشاركون في الانتخابات، كان من حق الناخبين من أصل عربي وغيرهم أن يصوتوا لمنافس آخر عقابا لمرشح بسبب موقفه تجاه حرب الإبادة الإسرائيلية في غزة، فالتصويت ضد حزب ومرشحيه عقابا لهم يحدث كلما أمعن حزب في تجاهل الرأي العام والاستخفاف بقاعدة مؤيديه. حزب المحافظين البريطاني هُزم في الانتخابات العامة مرتين نتيجة التصويت العقابي، الأولى في عام 1997في الانتخابات العامة أثناء زعامة جون ميجور، والانتخابات الأخيرة (2024) التي أسفرت عن فوز حزب العمال بزعامة كير ستارمر [12] بعد هزيمة قاسية للحزب نفسه بزعامة جيريمي كوربن في عام 2019.

استكمالا لمناقشة نقطة تقييم أي الحزبين أفضل في حالات يكون التشابه في مواقفهما وبرامجهما كبيرا، سيكذب الناخب على نفسه عندما يظن أنه اختار الأفضل قليلا، أو الأقل سوءا. هو في الواقع كمن يختار تلقي الصفعة على خده اليمين أو اليسار. وهنا تصبح الديمقراطية في بلد ما عملية شكلية إجرائية، لا تقود إلى تحسن ملموس في وضع أغلبية الشعب. وفي هذه الحالة، على المرء أن يقيّم مدى جدوى المشاركة في انتخابات لا تقود إلى تغيير إلا في الأشخاص.

ويكرر التاريخ نفسه باهتمام وسائل الإعلام العربية الكثيف بانتخابات الرئاسة، فالاهتمام بها يعطي الانطباع أن هذه الانتخابات تجري في بلد الوسيلة الإعلامية، مع أنه يكفي المواطن العربي من التغطية أن يكون ضمن نشرة أخبار نبأ موجز عن اختيار مرشحي الحزبين، وآخر بعد الانتخابات عن نتائجها. أكثر من ذلك إلهاء لمتابعي وسائل الإعلام العربية في مسلسل إخباري يضاهي في

طوله المسلسلات المكسيكية والتركية. المهتم بالتفاصيل لأنه باحث في الشؤون الأميركية مثلا يمكنه متابعة وسائل إعلامية أميركية، ففي العصر الرقمي هذا، كل الوسائل صارت متاحة للمتابعة من مختلف أنحاء العالم.

لم يتأخر ترمب في بدء الإعلان عن مرشحيه للمناصب المختلفة، مثل وزارتي الخارجية والدفاع، ومندوب/ة الولايات المتحدة لدي الأمم المتحدة، وغيرهم، ويتم ذلك تدريجيا، فاتضح على الفور ما ستكون عليه فترة الرئاسة الثانية لترمب التي ستبدأ رسميا في كانون الثاني (يناير) 2025. سيعيد التاريخ الترمبي نفسه مرة أخرى خلال السنوات الأربع من رئاسته الثانية. وسيعيد تاريخ السياسة الخارجية الأميركية نفسه بعد انتخاب كل رئيس. وفي كل مرة سيتكرر التساؤل: أي المرشحين أفضل للعالمي العربي؟

= = =

الهوامش

.

[1] هيلاري كلنتون. خطاب في نيويورك. 9 أيلول (سبتمبر) 2016.

https://www.npr.org/2016/09/10/493427601/hillary-clintons-basket-of-deplorables-in-full-context-of-this-ugly-campaign

[2] قرار ترمب منع المجيء إلى الولايات المتحدة من سبع دول هي: العراق؛ سورية؛ إيران؛ ليبيا؛ الصومال؛ السودان؛ اليمن:

https://edition.cnn.com/2017/01/28/politics/text-of-trump-executive-order-nation-ban-refugees/index.html

[3] قرار ترمب، 6 كانون الأول (ديسمبر) 2017.

https://www.nytimes.com/2017/12/06/world/middleeast/trump-jerusalem-israel-capital.html

[4] المبادرة نشرت في موقع البيت الأبيض الأميركي، حزيران (يونيو) 2019:

https://www.whitehouse.gov/wp-content/uploads/2019/06/MEP-narrative-document_FINAL.pdf

[5] موقع وزارة الخارجية الأميركية

https://1997-2001.state.gov/regions/nea/fs_mena_econ_summ_971107.html

[6] خبر عن إدانة ترمب في القضية، 30 أيار (مايو) 2024:

https://www.nbcnewyork.com/news/local/trump-verdict-stormy-daniels-trial/5448835/

[7] نص قرار المحكمة العليا، 1 تموز (يوليو) 2024:

https://www.supremecourt.gov/opinions/23pdf/23-939_e2pg.pdf

[8] وكالة أنباء أسوسايتد برس عن انسحاب بايدن وترشيح كاملا هاريس بدلا منه:

https://apnews.com/article/biden-drops-out-2024-election-ddffde72838370032bdcff-946cfc2ce6

[9] تصريح جو بايدن، قناة سي ان ان الإخبارية، 30 تشرين الأول (أكتوبر) 2024:

https://edition.cnn.com/2024/10/30/politics/biden-garbage-gaffe-analysis/index.html

[10] شبكة ان بي سي التلفزيونية. نتائج الانتخابات، 6 تشرين الثاني (نوفمبر) 2024:

https://www.nbcnews.com/politics/2024-elections/president-results

[11] كامالا هاريس، 7 آب (أغسطس) 2024، قناة سي سبان الأميركية:

https://www.c-span.org/video/?c5127583/vice-president-harris-protesters-im-speaking

[12] نتائج الانتخابات في بريطانيا، 4 تموز (يوليو) 2024، موقع البرلماني البريطاني:

https://commonslibrary.parliament.uk/research-briefings/cbp-10009/

د. نادية هناوي

الكائنات المجهرية وأدوارها غير الواقعية

الإدراك العاطفي سمةٌ تواصلية، فيها تجتمعُ الحواس بالفكر، والذاكرة بالكلام، والذات بالموضوع، والجسد بالعقل، والأنا بالآخر، فيكون التماثل الذهني بين الوعي الحسي والتعبير عنه عاطفيا متحققا بين الكائن المدرِك والعالم المدرَك ضمن حقل إدراكي عام. وما دامت الحواس مصدر الإدراك العاطفي، فإن للتخييل قدرة على المساهمة في صناعة هذا الإدراك الذي من خلاله تعرف الذات نفسها وموقفها من العالم. ولقد تنوعتْ صور الإدراك العاطفي عبر التاريخ، فكانت أولا مبثوثة في الخرافات والأساطير، ثم تشذبت في المتخيلين الشعري والسردي، وغدت لها مواضعات تتفاوت تبعا لطبيعة المذهب المختار أو الفلسفة المتبعة، فتارة تكون العواطف مثالية رومانسية، وتارة أخرى تكون موضوعية أو رمزية أو واقعية.

ويكثر توظيف الإدراك العاطفي في الأدب الشخصي كمذكرات وسير ذاتية ويوميات واعترافات ورسائل، فيسود صوت الأنا وتكون الذات مركزية بوصفها هي الساردة والبطلة، وهو أمر لا يقتصر على السرد الواقعي، بل يشمل السرد غير الواقعي أيضا، وفيه تكون الذات غير حية أو غير آدمية، ومع ذلك تتكلم بضمير الأنا معبرة عن مشاعرها لا بقصد وصفها، وإنما بقصد تقديم نفسها كائنا فاعلا يمتلك إدراكا عاطفيا.

ولأهمية العواطف، سعت علوم السرد ما بعد الكلاسيكية، وبخاصة علم السرد غير الطبيعي، إلى دراسة الفواعل غير الآدمية كالكائنات غير العاقلة والأشياء الجامدة، والبحث فيما تمتلكه من مدركات وحواس، بها تعبر عن ذواتها بشكل غير واقعي. وكما أن قوانين الجسد العصبية وأجهزته النطقية هي التي تحدد صور الإدراك العاطفي للعالم الواقعي، فكذلك يكون للفواعل السردية غير العاقلة والجامدة مثل ذلك في تصوير عوالمها غير الواقعية قوة أو ضعفا، توترا أو انبساطا، وبمألوفية أو لا مألوفية.

ومن موضوعات السرد غير الواقعي السفر عبر الزمان والأوبئة وقصص الأطفال والخيال العلمي. وتتنوع فواعل هذا السرد، لكن أهمها الجوامد وغير العواقل التي بالتخييل تصبح شخصية مسرودة أو ساردة مؤنسنة بالإدراك العاطفي الذي به تتمنطق أفعالها وأقوالها فتغدو واقعية.

ولقد تأثر السرد ما بعد الحداثي بالتطورات في مجال الذكاء الاصطناعي وصناعة الروبوتات، فوظف الآلة التي تحاكي الإنسان جسديا وعاطفيا وتمتلك تجارب إدراكية شعورية ولا شعورية مثله، مما دفع منظري علم السرد غير الطبيعي إلى دراسة هذا السرد وفواعله التكنولوجية، واختبروا قدرة الكائنات السبرانية على إنتاج إبداع أدبي وفني بآلية ذاتية وهل يمكن للربوت أن يشعر ومن ثم ينتج أدبا إنسانيا؟ [1].

وما تزال الأبحاث في هذا المضمار جارية في مخابر كبريات الجامعات العالمية، وليست الروبوتات سوى مثال من أمثلة لا حصر لها، فالسرد غير الواقعي ميدان واسع للكتابة، ويمكن تسويغ خيالية فواعله غير الآدمية بما يسبغ عليها من إدراكات عاطفية، فتصبح قادرة على التعبير: تحب وتكره، وتلتذ وتتألم، وقد تكون سلبية أو إيجابية، هجومية أو دفاعية، حانقة أو منتشية. وفي ذلك كله دلالة قاطعة على أهمية «الإدراك العاطفي» في عملية التخييل السردي، ومن ثمّ صناعة واقع لا واقعي محبك تحبيكا فنيا وبوجهات نظر محددة إزاءه.

وفي المنجز القصصي العراقي، بخلاف مثيله الروائي، كمٌ لا بأس به من

نصوص سردية فواعلها غير آدمية، لكن توظيف الفواعل المجهرية كالجراثيم والفيروسات بدا جديدا على هذا المنجز. وعُرف مع مطلع القرن الحالي، ربما بسبب التطورات العلمية المتسارعة، أو بسبب امتلاك الكاتب تخصصية معرفية دقيقة، أفادته في التخيل العلمي لحياة هذه الكائنات وهي في عالمها المجهري. ليس ذلك وحسب، بل تقصّد بدراية وخبرة إضفاء «الإدراك العاطفي» عليها، فجعلها ساردة بطلة تتواصل مع محيطها على المستويين: الداخل نصي/البنائي، والخارج نصي/التأليفي، فهي تمتلك ماضيا تحن إليه، وتشعر بالزمن الحاضر، وتفكر بالمستقبل، وتنقد وتتخيل وتناجي وتتذكر إلى غير ذلك من الأفعال التي بها تصبح العواطف بمثابة استدلال ذهني على مقبولية المتكلم في السرد غير الواقعي، وأنه غير معطل، بل له انفعالاته اللفظية، وبها يكون هو المبئر لمنظورات الحيوات الأخرى المبأرة في وعيه سرديا. وبتحبيك الأفعال والأقوال، يصبح السرد غير الواقعي منطقيا ومسببا تماما كالسرد الواقعي.

ولعل قصة «يمين العدم يسار النفي» القصيرة للقاص حيدر موسى 2005 أوضح مثال على انعطاف القصة العراقية نحو كتابة سرد غير واقعي بطله كائن مجهري هو «حيمن» يسرد بضمير الأنا رحلته السرمدية من البدء/العدم إلى المنتهى/المنفى. ويستلهم الكاتب في كل مفصل من مفاصل هذه الرحلة معلومة علمية من معلومات عملية التخليق الفسيولوجي للأجنة داخل الرحم. ويبدأ من لحظة تكوّن الحيمن وسيره المندفع مع آلاف الحيامن وما يمر به من مسالك عسيرة، لا ينجو منها إلا أقل القليل الذي ما أن يبلغ قنوات معينة حتى ينفذ منها إلى الكيس/الرحم الذي فيه يتمخض الحيمن جنينا، ثم يخرج إلى الحياة وليدا.

وأثناء هذه الرحلة الوهمية المتخيلة، يكون الإدراك العاطفي حاضرا في وعي السارد/الحيمن وهو يحكي قصة كفاحه الأزلي من أجل البقاء معبرا عن معاناته، أولا كأنثى ثم يتحول بعد عدة مخاضات إلى ذكر. وتصاحب هذا التحول تداعيات حرة ومفارقات واسترجاعات ومنولوجات، تارة بضمير أنا

المتكلم، وتارة أخرى بضمير المتكلمين. وكلما زادت الرحلة تعقيدا، غدا الحيمن كائنا مدرِكا أكثر مما مضى، فترى العواطف على لسانه وتصبح أكثر تدفقا وبصورة غير طبيعية من قبيل شعوره بالحنين والحب والتحدي والاطمئنان والخوف وغيرها. وما أن تحتدم عواطف السارد حتى تتصاعد الحبكة: «تأسرني نداءات نائية تسبب طولا لذنبي يتحرك بخفة في كل الاتجاهات من فتحات صغيرة جدا، فتقفز في رأسي صور هلامية تجعلني شاردة الذهن وحالمة بعالم بعيد، يشق عبابه، كائن لابط نحوي سريعا لأبادله الرسائل»[2].

ولقد حرص الكاتب على تقسيم قصته إلى مقاطع في إشارة إلى أنها رحلة ذات محطات زمانية ومكانية، وحرص على إعطاء كل مقطع عنوانا زمكانيا؛ وكانت أولى المحطات هي «الزمن بعد العدم الأول قبل النفي، والمكان مستنقعات الكيس»، وآخرها «المكان أعماق التراب الأحمر، الزمان لحظة الشروع في النفي الأبدي». ويساهم الإدراك العاطفي في بلورة وجهة نظر تعبيرية، فيها الحيمن كائن ككل الكائنات الحية: يكافح في خضم جدلية أزلية هي الحياة/الموت، متخذا من عواطفه سلاحا في مواجهة المخاطر، واثقا من قدرته على الصمود، وتتداعى مشاعره النفسية المعبرة عن رغبته في تحمل المعاناة وبلوغ المقاصد.

وتجدر الإشارة إلى أن الروائي سليم بركات هو السابق في توظيف الحيمن بطلا، وبفصل واحد من فصول روايته «فقهاء الظلام» 1985، ولكن المقارنة بينه وبين حيدر موسى في طريقة جعل الحيمن مكافحا من أجل البقاء، ستؤكد لنا أن حيدر موسى أكثر توفيقا من سليم بركات في أنسنة الحيمن، للأسباب الآتية:

= اكتفى بركات بجعل الحيمن بطلا ولم يجعله ساردا متكلما، وحجته أن لا فم للكائن ولكن له ذاكرة «الحيوان الزاحف في الظلام مهتزا يمنة ويسرة في الزلال الدبق وآلاف من الحيوانات البيضاء التي تشبهه تماما برؤوسها المستديرة وأذيالها الناعمة كالخيوط»[3].

= اعتمد بركات نسق التناوب في تسريد رحلة الحيمن تزامنا مع تسريد قصة الرجلين عفدي ساري وبافي جواني وكيف تصارعا فدخلا السجن. وعلى

الرغم مما في هذا التناوب بين السردين الواقعي وغير الواقعي من رمزية، بيد أنه أثّر في انسيابية تحبيك قصة الحيمن من جهة، وشتت من جهة أخرى الفاعلية التخييلية التي لو استمر سردها ولم تقطعه قصة الرجلين لأضفت على رحلة الحيمن درامية، ولكان أكثر قدرة على الإدراك العاطفي لطبيعة معاناته والمخاض الذي عليه أن يجتازه.

= لم يولِ بركات العواطف غير الطبيعية اهتماما ليس لأن السارد العليم هو الذي تولى الكلام حسب، وإنما أيضا نسقية التناوب التي فيها تزامنت الأحداث دراميا فقلّ، استعمال الحوار بأنواعه المباشر وغير المباشر أو المونولوج.

= انتهت رحلة الحيمن من دون أية خيبة في أفق التوقع، أي بلا مفارقات بسبب تدخل السارد العليم الذي كشف في نهاية الرحلة عن مغزاها: «لقد وصل الحيوان المنوي الآتي من صلب ملا بيناف إلى بويضة برينا أخيرا، والمضغة التي التأمت ستنسخ بآلاتها الحمراء شخصا يدعى بيكاس»[4]. كان بالإمكان الاستغناء عن هذا التوضيح وترك الأمر للقارئ يسد فراغه.

ومهما يكن من توظيف القصة القصيرة الراهنة للسرد غير الواقعي، فإن «الإدراك العاطفي» يبقى مستجدا من مستجداتها الفنية والتقانية. ولكن ماذا عن الرواية العراقية الراهنة؟ هل وظفت السرد غير الواقعي؟ وما طبيعة توظيف الإدراك العاطفي في بنية الفواعل الساردة غير العاقلة والجامدة؟

ليس يسيرا الإجابة عن هذين السؤالين، بل إن أية إجابة تظل غير قاطعة بالعموم، لسبب جوهري هو أن هذا النوع من الروايات غير معروف عدده على وجه الدقة. بيد أن المتابع المتفحص والدارس المهتم بالمنجز الروائي العراقي لن تغيب عنه نتاجات تؤشر على نفسها بنفسها بسبب فرادتها. ومن ذلك «محنة كورو»[5] للروائية رغد السهيل، وهي مكتوبة على لسان فيروس هو سارد ذاتي غير واقعي، يمتلك كل المجسات التي تجعله متمتعا بالإدراك العاطفي وهو يسرد رحلته الوبائية من موطنه في غابات الصين حتى عودته إليها.

وتلعب العواطف غير الطبيعية دورا رئيسا في تحبيك السرد وبناء بروتوكول

السارد الذاتي بوجهة نظر تعبيرية، فيها الفيروس فاعل ناطق يبئر المسرودات الآدمية من خلال مداركه الحسية. وما يجعل وجهة النظر تعبيرية، مجموعة خصائص كلامية ووسائل تلفظية ثابتة يكررها السارد الذاتي وبها يعبر نفسيا عن مشاعره وطبيعة إحساسه بموقعه على المستويين الذاتي والموضوعي.

وما ساهم في بناء السارد لوجهة نظره التعبيرية هو حرص الكاتبة على جعل المعلومة العلمية والمختبرية إطارا مرجعيا لأحداث الرواية، مما أضفى على الكائن الفيروسي معقولية، وجعل ملفوظاته التعبيرية منطقية، متمتعا بقدرات بشرية. ورغم أنه غير قادر على رؤية نفسه بصريا، فإن ما يكتنفه من مشاعر الغربة وما يتعرض له من عنف البشر «العمالقة»، أعطاه هيأة طبيعية ككائن مسالم يريد أن يتعايش متصالحا مع نفسه والآخرين. وكان دائم الترديد لمقولة إنه يحب من يضيفه ويسميه «حبيب». أما العالم بالنسبة إليه فمدرَك بالحواس التي اتخذ التعبير عنها شكل تمثيلات لفظية تدلل على ما يمتلكه من إدراك عاطفي، به عرف كيف يختار موقعه الآمن من هذا العالم، فتجنب كثيرا من العنف والاضطهاد.

تمثيلات الإدراك العاطفي

على الرغم من أن السارد الذاتي/كورو لا شكل محددا له، فإن حواسه لا تنفك تؤدي دورها في توجيه أقواله وأفعاله مكيفا نفسه بحسب الظروف: «حواسي هي السبب في محنتي»[6]. ولأن لكل حاسة موجهاتها، يصبح مجموع الموجهات سببا في جعل الكائن الفيروسي مدرِكا لنفسه وما حوله، فهو كل له بعض، يتفرق في كل مكان، يحسن الالتصاق بكل شيء حي وغير حي، يملك كالبشر لسانا وذاكرة، يتكلم ويتعلم ويتأقلم ويدافع ويتكيف ويفكر ويحب ويكره: «أتقنت فن الفرار من كل حبيب لا يحقق غايتي أو يتعمد إيذائي لأعانق حبيبا جديدا لعله يعيدني إلى وطني ورفاقي وينتشلني من غربتي فتكف عذاباتي، بينما يظل بعضي بينهم يعاني من ويلاتهم»[7].

ولقد اتخذت حواس كورو أدوارا تمثيلية مختلفة كشفت عن إدراكه العاطفي لحاله وما يعانيه في سبيل البقاء على قيد الحياة، فنقل لنا تجاربه المريرة وما مر به من تحديات ومنغصات توجت في نهاية المطاف بالنجاة. ويمكن تصنيف تمثيلات الإدراك العاطفي في وعي كورو إلى ما يأتي:

1. التمثيل العكسي: حيث الإدراك العاطفي عبارة عن مرآة عليها تنعكس معاناة العالم كله، ولان كورو هو السارد يغدو العالم مبأرا من خلال وعيه، ومشتركا معه في مسار نفسي واحد سلبا وإيجابا، ابتداء وختاما، سطحا وعمقا. وبالتمثيل الانعكاسي للعواطف تغدو وجهة النظر تعبيرية، تتكرر فيها مشاعر الغربة، التوتر، العدم، العزلة، الاكتئاب: «أصابتني عدوى سعادته حين غادر حجرته في صباح خدرتني برودته، ولامسني التوتر والارتياب بما يحصل فيها ولم يخب حدسي»[8]. وحين سمع اسمه لأول مرة وعرف أنه رقم، شعر باستفزاز كبير، وعكس هذا الشعور في متلفظات قولية ارتدادية هي بمثابة ردة فعل نفسية وقائية: «عزمت أن أحدثهم باللغة التي يفهمونها وأرد أرقامهم عليهم»[9]. وبهذه الطريقة الانعكاسية يغدو الإدراك العاطفي وسيلة دفاعية، بها يقاوم الكائن محاولات محوه أو تشويه صورته.

ويعد هذا النوع من التمثيل الأكثر توظيفا في الرواية موضع الرصد، نظرا لانسيابية تدفق المشاعر التي من خلالها أعطى كورو لنفسه صورة حسية، فهو يسمع ويبصر ويشم ويكره ويحب ويقنط ويعاني: «أنا الذي يبصر من دون عيون؛ يسمع من دون آذان؛ ويخطط من دون دماغ؛ تنمو خبراتي من دون ضجيج. أنا الذي يرى ولا يرى»[10]. وساعد استعمال التداعي الحر في جعل الإدراك العاطفي عاكسا إيجابيا للتصعيد السردي، أي كلما تداعت العواطف، احتبكت الأحداث وتقربت من الواقعية، فكورو ما أن يتشبث بمخلب إبهامه بالأشياء حتى يعبر عن شعوره بالغلبة والتميز، فهو يجيد القراءة ويتعلم أسماء الأشياء ويكتسب معارف ويخزنها في جيناته. وإذا شعر أن مضيفه العملاق يقوم بسلوك يثير حفيظته، فإن ردة فعله عادة ما تكون سلبية، كأن يعلن

عن امتعاضه أو يكشف عن هواجسه مكررا تعبيرات لفظية محددة مثل «استغربت؛ تعجبت؛ اندهشت».

وكثيرا ما تكون ردة فعله العكسية انتقادية، وبسببها يحن إلى عالم الخفاش هورشو، كما في مشهد حماية التمثال من قبل رجال الشرطة، أو موقفه من أهل المدينة وهم يفرطون بشروط الوقاية الصحية: «في لغتهم فيض من العاطفة؛ يعانون من شحة الأشجار؛ إن اختلفوا تصايحوا «. وعند كل انتقاد يتغير ضمير الـ أنا إلى الـ هو، ويمارس السارد الذاتي دور السارد المراقب، فيؤاخذ البشر على أفعالهم السيئة ويرصد سلوكياتهم المريضة: «عانيت من زلزلة معرفية متواصلة في جيناتي وأنا بينهم؛ أظنهم نوعا متطورا من العمالقة لأن مشاعرهم تفيض وتنقلب بين نقيضين»[11].

2. التمثيل المباغت: حيث الإدراك العاطفي وسيلة هجوم في حلبة صراع، طرفاها غير متكافئين: الأول هو السارد المجهري والآخر المسرودات الآدمية العملاقة: «لقد رأيت الخسة راسخة في جيناتهم، وعفن النذالة يفوح من أنفاسهم، فالأوغاد أعداء لكل ما حولهم وإن تباينوا في مستويات الدناءة وتدرجوا في الحقارة»[12].

ولا سبيل للمواجهة إلا بالمبادأة، فتغدو مجسات كورو الإدراكية متأهبة حسيا، وعلى استعداد دائم للانقضاض على العدو بشكل سريع وبدافع غريزي للبقاء: «استغربت زيادتي. امتدت سلاسل شلت حركتي ولونت طباعي»[13]. ويفسر علم النفس هذه المواجهة بالعدوان كسلوك «يعبر بوساطته الكائن عن مشاعره ودوافعه الداخلية بوسائل ظاهرة مباشرة وغير مباشرة في إلحاق الأذى بالوسط مِن حوله أو بالانكفاء إلى نفسه»[14]، فالعدوان فعل نفسي به تعاقب الذات نفسها وتدمرها بالعنف، وهو ما اتضح تمثيليا في ملفوظات كورو الوصفية المحتشدة بعواطف الكره والمقت والنفور والحنق إزاء البشر الذين هم في نظره عمالقة بلهاء وأوغاد وأغبياء: «غرقت في الضحك حين اكتشفت أنهم عمالقة. فكرت كيف لي أن أتعايش وأحب هؤلاء الأغبياء»[15]. وأعطى

لكل عملاق اسما ورقما مثل العملاق مازن 2014 والعملاق نجيب 1990 والعملاقة خلود 1980 التي وصفها بقائدة موكب الحقراء. وكرر وصف أربعة عمالقة بأنهم من «جنس الباندا ينقصهم الذيل». وأطلق على الزوجة اسم معزاة مسلوخة وخنفساء محروقة ولعينة.

وبالتدريج تتأكد نوازع كورو السايكوباثية في الهجوم والمباغتة، مواجها التهديد بالعدم ومعبرا عن مدركاته الحسية العاطفية، فيشتم ويتبرم ويحنق مستهينا بعالم البشر وبمخيلة طفولية تبتعد عن الواقع حينا وتقترب منه حينا آخر. وما جعل وجهة النظر التعبيرية واضحة شعوره بالعظمة وأنه متطور جينيا بشكل لا شعوري. تدلل على ذلك تساؤلاته التهكمية التي فيها يوجه نقدا واتهاما للبشرية أنها السبب في خلخلة التوازن الطبيعي للحياة وتخريب الأرض: «لم افهم لماذا يتصورون أن الموت مؤامرة ويتوهمون أنهم كائنات عصية عليه» [...] «لماذا لا يخترعون الكسا أخرى خاصة بالتحكم في الموت عن بعد»[16]، إلى آخره من التساؤلات الناقدة والمتهكمة التي تجعل تعبيراته هجومية وغايته الانتقام من البشر قاطبة.

ولا يعني تعبير كورو عن إدراكه العاطفي بهذا الشكل التمثيلي الهجومي، أنه كائن شرير وإنما هي غريزة حب البقاء التي تحمله لا شعوريا على المواجهة. ولأنه كائن متلفظ ورحلته عبارة عن سردية لفظية، تغدو وجهة النظر التعبيرية متمحورة حول سؤال: من قال؟ وليس: من فعل؟ ولقد فرّقت كافاريرو في كتابها «السرديات الرابطة» بين السؤال: من تكون؟ والسؤال من فعل هذا لمن؟ [17]، لأن الإجابة عن السؤال الأول تعني قدرة المرء على تقديم ذاته بوجهة نظر تعبيرية، في حين تعني الإجابة عن السؤال الثاني وصف الذات لنفسها بوجهة نظر أيديولوجية.

3. التمثيل الانقلابي أو المقلوب: حيث الإدراك العاطفي نتاج تناقض الواقع وتضاده، ولذلك قدّم كورو ذاته بكل إيجابياتها وسلبياتها، غير مستقر على حال، يفاجئنا دائما بالانقلاب، فتارة نجده حكيما وعالما، وتارة أخرى يكون مجنونا

وخطيرا يتلفظ بالبذاءة ويستهين بالقيم، ولكن قصده في الأساس هو التعبير الحسي عن إدراكه العاطفي لما يتعرض له ويواجهه من معضلات حياته غير الطبيعية، فهو حين ينتشر مع الرذاذ في المتروات والمقاهي وصالات الألعاب، لا يرى في ذلك ذنبا، بل المهم هو شعوره بالحرية وهو ينفث الملايين من أبنائه حديثي الولادة ويكون سعيدا ومنتشيا بهذا الصنيع: «ابتسمت لأبنائي وهم يقفزون ويقبلون الأنوف ويمرحون بين الأفواه والعيون. التصق بعضهم على الأيادي واختار آخرون المقاعد. حمدت الله أنهم لا يرونني وإلا طلبوا مني وثيقة السفر»[18]. وهو سريع التبدل في العواطف: فمن التذمر إلى التوسل، ومن السقوط إلى الخلاص. لكنه في الوقت نفسه متفائل وواثق أن الغلبة ستكون له في النهاية. وهو ما دعم وجهة نظره التعبيرية، فحين رأى نفسه صغيرا ومهانا، انقلب شعوره فجأة إلى إحساس بالعظمة والاعتداد، وصار العمالقة بدورهم صغارا في سلوكياتهم السيئة، وأنانيين في لا أباليتهم تجاه الكائنات الأخرى من حولهم.

لهذا التمثيل الانقلابي تفسير نفسي. يقول ادورنو: «الشخص الذي يتعرض للإهانة والاستصغار يتوفر على تنوير له قوة الألم الممض عندما يتوهج في جسده يصبح واعيا. لقد أسيء إليه. لكن عليه في الوقت نفسه أن يتخلى عن حقه لأن ما يرغب فيه لا يمكن أن يمنح إلا في الحرية في مثل هذه المحنة يصبح من تعرض للصد إنسانا»[19].

هكذا اثبت كورو إنسانيته وأنه كائن تنويري يملك وجهة نظر تعبيرية، فيها الذات المفردة تواجه المجموع: «انخرطت في بيوتهم، وكشفت أسرارهم، وفهمت عاداتهم، وأتقنت لغاتهم. ولكم ضحكت كلما صرخ هاتفهم النقال 'ابتعد المنطقة موبوءة'»[20]، فكل شيء في كورو مقلوب ومتضاد، فهو الطائر الذي لا أجنحة له، وهو الواحد الذي تفرق بعضه عنه، وهو القوي الذي لا يملك سوى عواطفه.

وساهم التداعي الحر في تقوية التمثيل المقلوب للعواطف مكانيا وزمانيا،

فأما مكانيا فلأن موطنه ليس في أنوف البشر وإنما في الغابة مع هورشو، ولذلك ظلت مشاعر الغربة تكتنفه والحنين إلى الموطن الأول يقض مضجعه: «أنا لي فلسفة خاصة بالجمال، فكل ما يمت بصلة إلى موطني هو الجميل؛ ما لا آلفه هو القبيح»[21]. وأما زمانيا فلأن اليوتوبيا زمن ولى إلى غير رجعة وحل محله زمن الروبوتات والمخترعات التي جهل كورو أسماءها، فالمترو يسميه علبة معدنية، والطائرة كبسولة مجنحة. وبسبب تضارب مشاعر الحنين والفقد يتذكر: «حين كان ملتصقا بغصن شجرة مانجو عتيقة تسأله أغصانها عن أحوال بنات جنسها»[22]. وتضطرب حياة كورو ولا تستقر إلا بعودته إلى موطنه محمولا في أنف عملاق انتهازي سماه «العملاق حاكم 2003»: «ها أنا أخيرا أجني ثمار تجلدي في عالم الحقراء. ليس أجمل من العودة إلى أبناء هورشو إلى الغابة التي جئت منها»[23].

ما عضّد وجهة النظر التعبيرية في التمثيل الانقلابي، ممارسة السارد الذاتي دورا مضادا لدوره؛ هو دور السارد العليم، وصار الإدراك العاطفي يبدأ من الآخر وينتهي بالذات، فمثلا يكون كورو ساردا عليما وهو ينقل محاورة نجيب 1990 ومازن 2014: «اقسم لك كلما راجعت أرقام المرضى»، فإن كورو يظهر فجأة كسارد ذاتي، ويقطع تلك المحاورة بالقول: «أنا أيضا أرفض الرقم الذي يضعونه مع اسمي. أيها العملاق سنكون على وفاق إذن»[24]، ثم يتوجه إلى هذا العملاق مباشرة وخاطبه قائلا: «حطم مرآتك، فتخرس البلبلة «[25]. ومثل ذلك مخاطبة كورو المباشرة للابن الصغير وهو يقول لأمه: «متى امتلك شاربا كثيفا مثل والدي؟» فيرد كورو عليه قائلا: «لكم تمنيت حينها لم تعكس المرأة صورتي فربما لدي شارب وأنا لا اعلم، لكن جميع المرايا التي واجهتها لم تعكس شكلي، إلا مرآة واحدة زلزلت كياني»[26].

وبانقلاب الإدراك العاطفي، يرى كورو البشر في نفسه ويرى نفسه فيهم، فيثور ويغضب ويشمئز ويتذمر ويكيل الشتائم ويسخط على كل البشر. وكثيرة هي المشاهد السردية التي تصور هذا الانقلاب: «يا خزانة الغباء: لسنا من

صنف الحيوانات. نحن كائنات لسنا مؤنثة ولا مذكرة. عليكم اختراع ضمير خاص بنا. حتى لغتكم ناقصة الكفاءة وعاجزة عن كشف عوالمنا. تجاهلته فقذفها بحجر اندفع من صفحتها وهشم شاشة حاسوبها وطار كقذيفة دمار شامل باتجاه نافذتها/ فتشطرت شظايا الزجاج حولها»[27]. ويعبر عن مشاعر باهتة والكريات البيض البلعمية والخلايا الجذعية تبتلع أبناءه فلا يكيل لها الشتائم لاقتناعه أن هذا فعل الطبيعة وليس فعل البشر، مما يعني أنه كائن مدرك لطبيعة الحياة وقانونها البيولوجي: «قتلت بعضي فوقع في قبضتها ثم ابتلعته في جوفها وقطعته إلى أجزاء متناهية الصغر في باطنها»[28].

وتكون مفارقة هذه التمثيلات الثلاثة للإدراك العاطفي أن نقمة كورو تتحول من البشر إلى نفسه ويدرك أنه مثل البشر متلون، لا يستقر على حال، فمادته الوراثية من النوع الذي يتحول باستمرار، وأنه في حالة ولادة جديدة دوما، فيشتم نفسه ويندم على وضعه غير الاعتيادي وهو دائم التنقل عبر الرذاذ من فم إلى فم، يناور ويهاجم ويصيب ويدمر ويتحول. ولذلك لملم بعضه في كله وقرر العودة إلى موطنه في الغابة ليكون حرا حيث لا وباء يفزعه ولا بشر يهدد حياته، بعد أن أدرك عاطفيا أنه ليس الضحية والإنسان ليس الجلاد، إنما هي دورة الحياة البيولوجية العجيبة: «يا إلهي، أهذا أنا؟ أنا السيد المتلون السميك». ويتزامن هذا التعجب من نفسه مع تعجبه من المدينة التي تركها وهي تغور في نهر أحمر وجبل من النفايات، في إشارة رمزية إلى أنه والإنسان سواء بسواء، فقد يصالح الطبيعة ويساهم في جمالها، وقد يكون عدوا لها وسببا في تخريبها.

مؤدى القول: إن للإدراك العاطفي دورا في بناء السرد غير الواقعي وبتمثيلات خاصة ومتنوعة بها يوجِّه السارد منظوره على وفق بروتوكولات تعطي للجوامد والكائنات غير الناطقة منطقية وتجعل السرد غير الواقعي محتبكا بالخيالية ومفعما باللامحاكاة.

= = =

الهوامش

[1] سئل أحد الروبوتات إن كان قادرا على الشعور؟ فأجاب: إنه سعيد لأنه عاجز عن الشعور أي أنه من دون العواطف أفضل من البشر الذين تتحكم العواطف فيهم وتؤثر في قراراتهم. ينظر: البشر بين الحروب والذكاء الاصطناعي مقال، سعاد فهد المعجل، صحيفة القبس، الكويت، 22 تموز 2023.

[2] يمين العدم يسار النفي قصة، حيدر موسى، مجلة الأديب، السنة الثانية العدد 91، تشرين الأول، 2005.

[3] فقهاء الظلام. سليم بركات. كتاب الكرمل 2، 1985، ص 43.

[4] الرواية، ص 72.

[5] محنة كورو رواية، رغد السهيل «بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ط1، 2023».

[6] الرواية، ص 5.

[7] الرواية، ص 6.

[8] الرواية، ص 28.

[9] الرواية، ص 8.

[10] الرواية، ص 19.

[11] الرواية، ص 36.

[12] الرواية، ص 7.

[13] الرواية، ص 5.

[14] النفس والعدوان، ريكان إبراهيم. الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص 8.

[15] الرواية، ص 28.

[16] الرواية، ص 20 و21.

[17] نقلا عن كتاب الذات تصف نفسها، جوديث بتلر، ترجمة فلاح رحيم «بيروت: دار التنوير للتوزيع والنشر، ط1، 2014، ص 78.

[18] الرواية، ص 31.

[19] الرواية، ص 182.

[20] الرواية، ص 21ـ22.

[21] الرواية، ص 60.

[22] الرواية، ص 10.

[23] الرواية، ص 218ـ219.

[24] الرواية، ص 51.

[25] الرواية، ص 55.

[26] الرواية، ص 53.

[27] الرواية، ص 81.

[28] الرواية، ص 101.

فراس حج محمد

الصورة في الحقل التعليمي

للصورة حضور مهمّ في المقررات الدراسية، وفي المواد التدريبية، وكلما كانت المرحلة التعليمية صغيرة كان للصورة حضورها الأبرز، لأنه لا بد من الانتقال في الطالب من المحسوس إلى المجرد، فالصورة التعليمية ذات أثر فعال لأنها تستنطق حواس الطلاب وأفكارهم على نحو منهجي إذا ما أحسن استخدامها بشكل فعّال.

لا بد من أن يسبق مرحلة الصورة المرسومة في الكتاب اعتماد التعليم على المثال الحقيقي الواقعي، ثم المجسّم الذي يصور ذلك الشيء المراد تعليمه، ثم الصورة، ثم الكلمة المكتوبة، ليتم الاستغناء عن الصور مثلا في مرحلة تعلم اللغة الأولى في سن متقدمة من عمر الطالب. هذا الانتقال من المادي الملموس إلى المجرّد ضروري لبناء ذاكرة الطفل الحية، لتربط بين الشيء وصورته ثم بين الشيء وكلمته اللغوية المعبرة عنه التي هي بمعنى من المعاني صورته الفكرية اللغوية التي تعتمد على التجريد.

في مقررات التعليم الفلسطينية على سبيل المثال، تبرز الصورة جزءا من المقرر التعليمي، وتتخذ شكلين فيه؛ إما أن تكون مدخلا تمهيديا في بداية الدرس أو الوحدة، وإما أن تكون عاملا تعليميا مساعدا داخل الكتاب نفسه، في المحتوى التعليمي التفصيلي في مباحث العلوم والرياضيات والتكنولوجيا وكتب

اللغة الإنجليزية بوصفها لغة ثانية، تعلّم لغير الناطقين بها على سبيل المثال.

هذه الصور التمهيدية المصاحبة للمحتوى التعليمي يجب أن تكون واضحة، وتدفع الطالب لأن يتحدث عن الموضوع، وتثير فيه نزعة الفضول العلمي، ولذلك لا بد من مراعاة أن تكون مثيرة غنية في بعض التفاصيل، ملونة، مرتبطة بالدرس؛ موضوع الوحدة الدراسية، وتنطلق من ثقافة المجتمع ومن خبراته ومهاراته المستقاة من بيئته؛ لتكون تمهيدا رابطا بين الخبرات السابقة والخبرات الجديدة المستهدفة في التعليم، وأن يعطى الطلاب فرصة ليعبروا عن هذه الصور بأريحية كاملة، لأنها طريقة طبيعية للكشف عن أفكارهم ومستواها بالنسبة للدرس المتعلق بالصورة، وإن وجد المعلم صعوبة في حديث الطلاب يساعدهم بطرح أسئلة متنوعة حول تلك الصور وعناصرها.

إن منح الطلاب فرصة للتفرس في اللوحة أكثر، وإرشادهم إلى كتابة انطباعاتهم عنها، وإجراء حوارات بينية في المجموعات لهي أساليب نافعة في تعزيز قدرة الطلاب على قراءة الصورة قراءات متعددة، وأن يستقوا منها أفكارا تمهيدية حول الدرس، عدا ما في ذلك من تدريب عملي للطلاب للربط بين النص والصور، تمهيدا لتعلم المناهج العلاماتية في المستقبل.

أما الصور المرتبطة بأجزاء المحتوى التعليمي في مباحث كالعلوم والرياضيات والتكنولوجيا واللغة الإنجليزية فأمرها مختلف إذ ترتبط تلك الصور بأفكار المحتوى التعليمي الذي يشكل إضافات جديدة للطالب وخبرات يراد له أن يتعلمها، من مثل أجزاء جسم الإنسان والأشكال الهندسية، ولوحة المفاتيح أو أجزاء جهاز الحاسوب، والمفردات اللغوية وغيرها.

وتعدّ الخرائط الجغرافية من الصور المساعدة في عملية التعليم، ويستفاد منها في مباحث متعددة، لأنها تتعلق بالرسم التجريدي لسطح الأرض، كخريطة فلسطين التي تجسد السهول والجبال والوديان والصحراء، وارتباط كل نوع من التضاريس بلون معين، يعد مفتاحا رئيسيا لاستخدام الخريطة بالإضافة إلى الاتجاهات الأربعة.

إن الصور تعد أمرا نافعا تعليميا عند استخدامها كوسائل تعليمية مساعدة، يذكرها النص، فيحرص المعلم والطلاب على إحضار ما يمثلها، وهذا يغذي في الطلبة نزعة التعبير عن المجرد بالصور، لاختيار الصور الأكثر ملاءمة وانطباقاً.

وعدا هذا وذاك فإن المعلم الذي يقود التعليم وييسره لا بد من أن يقود الطلاب أحيانا إلى مسرب جديد في التعامل مع المحتوى التعليمي، فيحثهم على تصوّره ذهنيا وتجسيده في مجموعة من الصور، كتكليف الطلاب برسم أحداث قصة ما، في مشاهد متعددة، وتأليف فيلم متحرك منها، ما ينقل المحتوى التعليمي إلى مراحله العليا من الاستفادة من المحتوى التعليمي، ويغذي فيهم مهارات تتعلق بالقدرة على تجسيد التصور الذهني والخيال، ومهارات تتصل بأنواع مختلفة من الذكاء، كالذكاء المكاني أو البصري.

تتصل العملية التعليمية بالصور اتصالا مباشرا يمرّ في اتجاهين متصلين لا مفترقين، ففي الوقت الذي يمكن أن تكون الصورة منطلقا للتعليم يمكن أن تكون مختتما لها، لتكون مخرجات تعليمية مهمة، كما هو موضح في الفقرة أعلاه، ومن أبرع ما مرّ بي خلال عملي مشرفا تربويا شرح المعلم للتشبيه التمثيلي في الصف الحادي عشر (المرحلة الثانوية) بتجسيد المشبه والمشبه به، وبيّن بالرسم المعنى الحقيقي للتعريف بأن المشبه والمشبه به صورة مقابل صورة، وكيف يمكن أن نستلّ وجه الشبه الذي هو «صورة منتزعة من متعدد». كان هذا المعلم يعد لكل مثال ثلاث صور في مرحلة الشرح، وفي التطبيق قد يكلف من يستطيع من الطلاب رسم تلك الصور لأبيات جديدة بعد شرحها وفهمها وبيان عناصرها التي تشكل من المشبه والمشبه به.

هذا الأسلوب التعليمي أو التقنية التعليمية على وجه أدق، تقنية داعمة لتفكير الطلاب وحواسهم وتغذي فيهم ملكة التخيل وتدفعهم للتعبير عن مواهبهم في الرسم ممن يمتلك هذه الموهبة، ليصبح التعليم أمتع وأسلس، ويخرج من أطره التقليدية، ويمكّن الطلاب من الاستفادة من كل قدراتهم العقلية، تلك التي يعبّر عنها الفكر التربوي بـ «الذكاءات المتعددة».

وأما بالنسبة لتعلم اللغة الإنجليزية بوصفها لغة ثانية؛ ليست اللغة الأمّ، فإن للصورة دورها المهمّ في أية مرحلة عمرية، وليس فقط في مرحلة التعليم الأساسي، وهذا ما جاء عليه كتاب «Word by word picture dictionary». إذ اشتمل الكتاب على أكثر من (4000) مفردة إنجليزية مشفوعة بالصور في أكثر من (17) موضوعا يحتاج إليها الشخص من أجل أن يتواصل مع غيره[1].

الآن، تخيلوا المهندسين ومصممي الجرافيك المكلفين بإعداد مشاريع التخرج، كيف تكون مشاريعهم إبداعية، عدا أنها مستندة إلى قوانين علمية فإنها أيضا لا بد من أن تراعي النواحي الجمالية في التصميم، فمقدرة التخيل الجمالي حاضرة في هذه الأبحاث كما هي حاضرة مثلا في التصاميم الهندسية لسيارات جديدة أو طائرات جديدة أو ألعاب مبتكرة أو اللوغوهات والعلامات التجارية، كل ذلك له أهميته في الكشف عن عبقرية المتعلم وقدراته التخيلية والتعليمية، فالتعليم كالفن لا بد من أنه يحتاج إلى الخيال، ويحتاج إلى مقدرة عليا لتحقيق هذا المتخيل العلمي مجسدا في اختراعات وصناعات تخدم البشرية وتفيدها في حياتها. فلولا الصورة وتخيلها والعمل على تحقيقها في الواقع لما وجدنا أغلب المخترعات الحديثة التي ننعم بها، وتعد علامة على تطور أدواتنا في التعامل مع الحياة والبيئة، فكثير من هذه المخترعات بدأت تصوّرا ذهنيا، وخيالا علمياً قبل أن تصبح واقعاً يحسّ ويُلمس وذا أثر في حياة البشرية.

= = =

[1] Word by word picture dictionary; Steven J. Molinsky & Bill Bliss; PEARSON Longman; second edition.

شجاع الصفدي

كيف أنقذ وردة من الذبول؟

غزة: ملف العدد 35

النص المنشور أدناه منقول من صفحة كاتبه، الشاعر شجاع الصفدي، في فيسبوك. تم اختيار هذا النص وغيره لإعطاء فكرة عن الحياة من قلب الحدث في غزة. ونظرا لصعوبة التواصل مع كتاب كاتبات (وغيرهم) في غزة وعدم واقعية طلب كتابة نصوص للنشر في أعداد مجلة «عود الند» الثقافية حصريا، لجأنا إلى اختيار بعض النصوص التي تسنى لمن كتبها نشرها في فيسبوك، حرصا منا على وجود نصوص من غزة، وبدأ هذا منذ العدد الفصلي 31 (كانون الأول/ديسمبر 2023).

سألتكم من يدلني كيف أنقذ وردة من الذبول، لكن شح ماء الحياة، فماتت الوردة. قُطفت باكرا، وتلك آجالٌ مكتوبة، لكن الإيمان وحده لا يكفي لرفع صخرة الفقد عن القلب، يحتاج الأمر لقوةٍ خارقة يسندها الإيمان، ليس للنسيان وإنما للتجاوز.

يا بنيّ كنت أشقى لأريحك، أجمع قرشا قرشا كما وعدتك. قلت لك اجتهد لتحصد مجموعا مميزا،

وسوف أدفع أي إتاوةٍ لتسافر خارج معبر الجحيم. كنت أرفض دفع الإتاوات، لكني لأجلك تجاوزت. سوف تسافر.

وعدني صديقي أن يحصل أمجد المجتهد على منحة دراسية. كان يجتهد في دراسته ليلا نهارا بكل ما أوتي من مقوّمات، وأجتهد أنا لأوفر ما استطعت. قال لي صديقي ناصر رباح قبل أيام: «أمجد ممتاز لا خوف عليه».

كان ناصر قد تطوع أن يعطي أمجد حصصا في الأحياء. ختم أمجد الأحياء ومواد أخرى. وبينما نسعى للمنحة، كان لله مشيئة أخرى: منحة لديه سبحانه.

قطفت وردتي التي قضيت عمري أسقيها حبا وعطفا وخلقا من بستانها، لكني والله قانعٌ بأن أمجد وردة في الجنة، ليس لأنه ابني، لكن شابا بعمره لم يتلفظ يوما بالسوء، عاش رضيا مرضيا، لم يغضبني أنا وأمه، حتى مشاكساتنا عند عصبيتي خلال لحظات تنقلب إلى مرح ومزاح.

كان يقوم الليل بصوت رخيم، ونصلّي الفجر معا. عندما يؤمّنا أمازحه: «لا تطل القراءة، أنا ختيار، أتعب من الوقوف يابا»، فيقول: «شيخ الشباب أنت».

كان دوما في أي نقاش يردد «يأتيكم الموت ولو كنتم في بروجٍ مشيدة». كان يتفقه في الدين ويحفظ وافرا من القرآن. لم يذهب للتحفيظ ولم يحتج أحدا يدلّه على طريق التقوى. عاش شابا مؤمنا تقيا، وطفلا بريئا سلوكا. لم يشتكِ منه أحد، طوال عمره. كان بلسما للقلب، القلب الذي يحتاج الآن لأكثر من الإيمان الوافر للصبر.

قبل ثلاثة عقود أو أكثر قليلا، تلقيت وردة هدية، ليس مجازا، وردة جوري حقيقية، جفّت مع الوقت فحفظتها في مغلف خاص، وظلت معي إلى يومنا هذا، لكن وردتي أمجد هدية عاشت معي عقدين إلا قليلا. ماتت الوردة، ولا أملك غلافا سوى شغاف القلب يا ولدي، هي لك ما حييت.

سامحني يا وردتي إن قصّرت، عجزي ومن مثلي من آباء ليس أنانيا وليس فرديا، عجزنا يا بني أكبر مما تحتمله القلوب، فإن كان دعائي لا يكفي، وإن لم أكن صالحا كما أتمنى، فإن قلبي متيقن أنه لا حجاب بينك وبين الله، وأخشى

إن بالغت وقلت «إنك لن تسأل عن ذنب». أنا أعرفكَ ولا أزكيك على الله. أنت شفيعٌ لنا يا ولدي، فلا تغفل عنا أنا وأمك. زرنا في المنام وابتسم ابتسامتك التي عهدتها تشع نورا، كما كان وجهك يشع نورا وأنت توارى جسدا في مثواك المؤقت. والله يا بني في قلبي يقين أن قبرك ينير ما حوله هذه الليلة.

وداعا يا وردة روحي التي قطفت باكرا، وداعا.

= = =

14 تشرين الثاني (نوفمبر) 20023

رابط صفحة الكاتب في فيسبوك:

https://www.facebook.com/profile.php?id=100001444676886

مريم محمد قوّش

شهيد الاحتلال والخذلان

غزة: ملف العدد 35

النص المنشور أدناه منقول من صفحة كاتبته، الشاعرة مريم محمد قوّش، في فيسبوك. تم اختيار هذا النص وغيره لإعطاء فكرة عن الحياة من قلب الحدث في غزة. ونظرا لصعوبة التواصل مع كتاب كاتبات (وغيرهم) في غزة وعدم واقعية طلب كتابة نصوص للنشر في أعداد مجلة «عود الند» الثقافية حصريا، لجأنا إلى اختيار بعض النصوص التي تسنى لمن كتبها نشرها في فيسبوك، حرصا منا على وجود نصوص من غزة، وبدأ هذا منذ العدد الفصلي 31 (كانون الأول/ديسمبر 2023).

هذا الرجل الوسيم أبي. جميلٌ أنت يا أبي. جميل قلبك وجميل وجهك، وعظيمةٌ حياتك وعطرة سيرتك، واصطفاء الله لك شهيدا. أجمل من كل ذلك لم تنل شهادةً واحدة يا أبي، بل شهادات يا حبيبي، وأي اصطفاءٍ أجلّ من ذلك، فكنتَ شهيدَ الاحتلال والخذلان، فحينما أُغلق معبر رفح في وجهك وفي وجه آلاف مرضى السرطان؛ كنت تقول واثقا: «إذا مت، سأكون شهيد الحصار».

ولكن الله يا حبيبي أراد لك شهادة أخرى، لتكون فائزا بشهادة أخرى، فكنتَ شهيدَ المرض. صبرت شهرين آخرين في مصر وأنت فقط تنتظر أن يُفرز اسمك في كشوف الصحة، واستشرى بك المرض، ثم خضعت لعمليةٍ جراحية إثر أخرى، لتستشهد مبطونا ممعودا في أرض مصر.

وأراد الله أن يكافئك بشهادة أخرى، فكنت شهيد الغربة. لكنه يؤلمني أنك استشهدت غريبا.

هل تعلم كم عذبني إغلاق معبر رفح، وأنا أتلوّع رغبة في السفر إليك؟ هل تعلم كم آلمني أنني كنت أشاهد جنازتك وأودعك على محادثة الفيديو عبر الماسنجر؟

هل تعلم كم قتلني صوتي وأمي تضع الهاتف بجانب أذنك، فأخذتُ أهمس في أذنك: «طبت حيا، وطبت ميتا يا أبي. ما أجملك! وما أجمل قلبك وما أجمل اصطفاء الله لك، إذ اصطفاك في وقت صلاة الجمعة، وأنت تلهج بذكر الله!

ما أجملك يا أبي! وما أجمل اصطفاء الله لك! لكنني يؤلمني قلبي يا حبيبي. قلبي الذي يحبك أكثر مني يؤلمني، فأنا أريد أن أعانقك؛ أضمّ روحك؛ أقبل يديك ورأسك وقدميك. أريد أن ألمس جبينك؛ أريد أن أراك.

أكثيرٌ علينا نحن الغزيين أن نودع أحبابنا الذين يرحلون؟ أكثيرٌ علينا أن نموت بين أحبابنا، وأن ندفن بين أهلينا؟ أكثير علينا أن نودّع الذين نحبهم؟ هل هذا كثير، أن نموت ونحيا كما كل الخلق؟

والله يا ربنا محزونون، لكنه يطبب قلوبنا المحروقة اصطفاءك. والله يا رب مكلومون ومخذولون، لكنه يهوّن علينا أنه في ضيافتك وأنت العزيز الكريم.

اللهم اجمعنا به في مستقر رحمتك مع الصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

اللهم هذه الليلة، أول لياليه في القبر: اللهم آنس وحشته، وارحم غربته، وتقبل حسناته، وتجاوز عن سيئاته.

اللهم طيب ثراه، وأكرم مثواه واجعل الجنة مستَقَرّه ومأواه.

اللهم يمّن كتابه، وهوّن حسابه، وليّن ترابه، وثبّت قدمه، والهمه حسن الجواب.

اللهم نوّر مرقده، وعطّر مشهده، وطيّب مضجعه.

اللهم كما سترته فوق التراب، فاستره تحت التراب. اللهم ارحمه برحمتك الواسعة.

= = =

9 تشرين الثاني (نوفمبر) 20024

رابط صفحة الكاتبة في فيسبوك:

https://www.facebook.com/maryam.mahd.9

فنار عبد الغني

حكايات البحث عن شقة

لم يكن في استطاعتنا أنا وزوجي شراء شقة جديدة في وسط المدينة، لذلك عزمنا على البحث عن شقة مستعملة، مساحتها معقولة وحالتها جيدة ولا تحتاج إلى الكثير من أعمال الصيانة.

وبعد أن اتفقنا أنا وزوجي على بعض الأمور، كلفنا أكثر من سمسار لمساعدتنا في ذلك. وكنت أنا بدوري أتعمد المشي في الأحياء القريبة من مسكني المؤقت في وسط المدينة بهدف البحث أيضا عن شقة، وقد وجدتها طريقة نافعة لأنني كنت أعثر بسهولة على شقق للبيع من خلال تصوير اللافتات الموضوعة على الشرفات والتي تتضمن عبارة «شقة للبيع» مرفقة برقم هاتف.

وخلال عملية البحث عن منزل حدث معنا عدة قصص غريبة، أحببت أن أكتب عن بعضها، وإليكم القصة الأولى.

شقة القاضي

وصلنا قبل الموعد المحدد من قبل السمسار الذي باشر عمله فور وصولنا. قلت له: «أنا التي هاتفتك على الرقم الموجود على اللافتة». هز رأسه وأشار لنا بيده كي نتبعه نحو مرآب البناية، ورفع عنقه بعد أن أنهى سيجارته الأولى وأشار بإصبعه: «هذا الموقف الخاص بالشقة المعروضة للبيع».

تفحصت المكان الغارق بالمياه والفوضى، ولفت انتباهي عبارة على الجدار الإسمنتي القديم: «موقف القاضي فلان الفلاني». المظهر الخارجي للمبنى يبدو أفضل من داخله.

بعد ذلك صعدنا إلى الشقة. كان المصعد ضيقاً لا يتسع إلا لشخصين فقط. صعدت أنا وزوجي وانتظرنا وصول السمسار الذي لا يضيع وقته أبداً.

فتح لنا باب الشقة الحديدي ثم الباب الخشبي. وكان خلال ذلك يسرد لنا مميزات الشقة الواسعة والمفروشة. مدخل الشقة كان عبارة عن ممر قصير يتوسطه كونسول كلاسيك عن يمينه حمام للضيوف حالته جيدة، وفي آخره قاعة كبيرة تضم طقمي صالون وغرفة سفرة تبدو غير مستعملة على الإطلاق، عكس طقمي الصالون. والقاعة الواسعة ليس لها إلا شرفة صغيرة واحدة تطل على الشارع العام حيث قرأت عليها لافتة «شقة للبيع».

دخلنا إلى المطبخ. كان ضيقاً وخزائنه الخشبية قديمة وألوانها قاتمة. أما محتوياته فقد افترسها الصدأ. لكن السمسار كان مصراً على أن المطبخ بكل ما فيه بحالة ممتازة. وقد ذكرني حاله بالمثل القائل: «من يشهد للعروس». لم نناقش الأمر معه، وتوجهنا لغرف النوم. كان عددها ثلاثا: غرفتان بحال جيدة، وغرفة رئيسية تحتوي على حمام خاص. والغرف الثلاث كانت مكتظة بشكل كامل حتى بأدوات التبرج وصور أصحابها وملابسهم.

سألت السمسار: «لماذا ترك أصحاب البيت ثيابهم وحاجياتهم؟»

أجاب: «الأولاد تزوجوا وكل واحد منهم في مدينة. والقاضي بعد تقاعده عاد وزوجته إلى ضيعته الجبلية حيث الهدوء والهواء العليل».

كان القاضي على صواب. لقد اختار مكاناً هادئاً غير مطل على شارع عام من الشرق، وعلى مستشفى ملاصق لبيته من الغرب حيث أصوات سيارات الإسعاف ومولد الكهرباء المركزي للمستشفى.

لقد انقطع الهواء عني بعد ذلك. لم أتمالك نفسي من الهروب بعد أن رأيت أسراب الحشرات الزاحفة تخرج من قيعان الأبواب الخشبية المهترئة،

ومن ثقوب الجدران حيث اتخذت منها أوكارا. يبدو أننا اقتحمنا عليها وحشتها.

أومأت لزوجي بالمغادرة فوراً من البيت بعد أن شعرت بإعياء شديد، وأغمضت عينيّ وسددت أنفي من رائحة الرطوبة وهرولت نحو الباب.

كان صوت السمسار لا يزال يتغزل بمزايا الشقة التي حدد القاضي سعرها بشكل يستطيع تقسيمه بين أولاده حسب الشريعة الإسلامية، ويقول إنه لن يقبل بأي تخفيض في السعر لكيلا يؤثر ذلك على حصص الأولاد، إضافة إلى مبلغ خمسة آلاف دولار أمريكي ثمن أثاث الشقة المستهلك الذي هو شرط أساسي لبيع الشقة.

ونحن في الردهة، سمعت السمسار ينصح زوجي بالاستعجال بشراء الشقة، وأن عليه أن يتدبر أموره ويبيع سيارته وأن عليّ أن أطلب قرضاً من المؤسسة التي أعمل بها خوفاً من أن تباع الشقة لأحد غيرنا. وأضاف أن هناك مغترباً في ألمانيا يريد الشقة.

وظل يتحدث ويتحدث وأنا كنت أنتظر وصول المصعد بفارغ الصبر لأهرب من صوت المولد الكهربائي وأسراب الحشرات ورائحة الرطوبة ورائحة السيجارة العشرين للسمسار.

إلى اللقاء مع قصة شقة أخرى. ندركَ دفءَ البيت في برد الخيم، كان على هذه الحرب أن تأتي، وعليها الآن أن تتوقف.

د. فراس ميهوب

كلانا نعشق الموسيقى

كلانا متعبان، أنا متوجس من الحياة، وأنت مقبلة عليها بلا مبرر ولا سبب. كلانا نحبُّ الضحك، أنا أحبُّ الكوميديا السوداء، وأنتِ تفضلين الكوميديا الصامتة.

كلانا خائفان، أخشى أن ينتهي شجني، فأفقد سرَّ وجودي، وأنتِ تخافين من تغيِّر الاعتياد.

كلانا لاجئان، مستجيرٌ أنا بالوقت ومتلحفةٌ أنتِ بالمكان، لا أطيق الأمكنة ولا تريدين إعادة ساعتنا إلى الوراء. كلانا يا صديقتي، كواكب في سماء الحياة، أنت تمثلين الإشراق والغروب، وأنا مظلم أبدا.

كلانا مهمشان، أنا أعيش على الهامش الأيمن مع المنسيين، التائهين، والمهمشين الفعليين من كل سلطة وسطوة. أنا مصاب بالفقدان والملل، وأنتِ محرومة من المعاناة كأولئك الذين لا يشبهون واقعنا.

كلانا صامتان، أنا من فرط الكلمات، والأشعار، والأغاني، وأنتِ من فراغ القواميس. كلانا معذبان من السفر، أنا هارب من ظلي، وأنتِ سائحة في البحث عن فيء ما يشبه الضوء، ولم تدركي بعد أنه وهم.

التقينا فتقاطع مصيرانا، سرتُ إلى صحراء المجهول المتقلب والمتفرد بكآبته، وانكفأتِ إلى العادي المشابه لأي شيء. كلانا مشتهيان للموت، لم أدركه فارتاح، ولم تتصالحي مع الحياة كحقيقة بديلة.

كلانا نعشق الموسيقى، أتغنى بأجمل أناشيد الحزن والرثاء، ولا أحرم نفسي من تذوق الأغاني الشعبية، وتجبرين نفسك على سماع ملل الموسيقي الكلاسيكية.

كلانا هاربان، أنا من نفسي، وأنت منّي تهربين. أضنانا البردُ، فتدثرنا بشيء، أنا بالذكريات، وأنتِ بالانتظار. كلانا نعشق الأطراف، أنا بنهاية لم تظهر قط، وأنتِ ببداية أخرى لن تأتيَ أبدا.

كلانا مسافران، أنا على خطوط الطول للخريطة الفعلية لهذا الكون الضيق، وأنتِ على خطوط العرض المفترضة.

كلانا نعشق القهوة، أشربها غالبا في المقاهي، وأحيانا بلا طقوس على الطريق، وأكثر في الليل لأعانق حلمي المتكرر صاحيا، ودائما بلا أي أمل.

أمّا أنت فقهوتك صباحية، في ذات الساعة الثامنة من كل يوم، بتلك الرتابة والأناقة المبالغ بها وبنفس الركوة وبالفنجان الأزرق السماوي ذاته، في ركنك الهادئ، وأنتِ تستمعين إلى الموسيقى الغربية الخالية من الكلمات.

زكي شيرخان

عنق الزجاجة

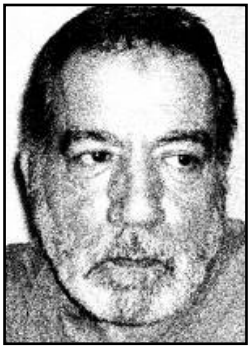

جرت العادة أن يجتمع أفراد العائلة ضحى أول أيام كل عيد في منزل الوالد. الأولاد المتزوجون مع زوجاتهم وأبنائهم. البنات المتزوجات مع أزواجهن وأبنائهن. كنت الأصغر من بين الأشقاء والشقيقات والأوحد بينهم الذي لم يتزوج. كنت أعيش مع والديّ وحدي في الدار. لم أكن أحب العيد، ليس لأني لا أحب أن ألتقي بأفراد العائلة، بقدر ما كنت أنزعج من ضجيج العدد الكبير من الأطفال الذين يجتمعون. كانوا وبموافقة والدي يستبيحون الدار كلها. يحتلونها، عدا القبو حيث مكان خلوته، وبه كتبه، نفائسه، أوراقه، أقلامه، أسطواناته، ومذياعه. كنا ثلاثتنا قد أعتدنا على حياة هادئة، وأقرب ما تكون إلى الرتابة. كنت بحاجة إلى مثل هذا الهدوء عندما أعود من عملي المتسم بالتوتر والأصوات المرتفعة إلى حد الصراخ، وأنين المتوجعين.

هذا المنزل يقع في ضاحية من ضواحي العاصمة البعيد نسبياً عن مركزها. هذه الضاحية المتصلة إدارياً بالعاصمة، شانها شأن الكثير من مثيلاتها، هي أصلاً بقعة زراعية زحف عليها السكان كنتيجة طبيعية للتخمة في العدد والحاجة إلى المزيد مما يأويهم. منزلنا هذا، بني على مساحة تزيد على الألف متر. متعدد الغرف المؤثثة والمغلقة، ولم يكن مستخدم منها إلا أثنين. واحدة لوالدي ووالدتي وواحدة لي. ويحوي كذلك على حديقة مكتظة بمختلف الأشجار. المنزل، أقرب

ما يكون لبستان. هو بالفعل جزء مما كان بستاناً. لم يقتلع والدي إلا الأشجار التي أعاقت تشييد البناء.

بحكم وظيفتي، لم تكن ساعات عملي تقتضي، كما باقي موظفي الدولة، أن أخرج صباحاً وأعود مساءً. كنت أحياناً أواصل الليل بالنهار ولأيام عدةٍ. آخذ قسطي من الراحة كل عدة ساعات، أو كلما احتجت للراحة، في غرفة خاصة بي مهيأة لهذا الغرض في دائرة عملي. أحياناً كنت أذهب لعملي في ساعات الليل لأعود للبيت عند الصباح. وفي البعض من الأحيان، كان يقتضي مني أن أكون خارج العاصمة لأيام قد تطول أؤدي ما كُلفت به من واجب.

ساعات العمل الطويلة وطبيعته كانت تشد أعصابي. توترني إلى حد لم أكن أحتملها في البدء. ولكن بمرور الأيام والأشهر والسنوات باتت محتملة. بل وصار التوتر ضرورياً لإنجاز المهمات الروتينية الموكلة لي. فكلما كان التوتر أشد، كان إنجاز العمل يتم أسرع. حتى صار زملائي في العمل يراهنون بأن أُنجز عملاً ما خلال ساعتين إذا لمسوا فيّ درجة معينة من التوتر. ويراهنون أني سأنجز ما أوكل لي خلال ساعات خمس إذا ما لمسوا انخفاض درجة التوتر. وأحيانا وعندما يعجز أي منهم عن إتمام ما كلف به، أو يرى أن الوقت بدأ يدركه، يستعين بي.

كنت، عندما أتوجه إلى عملي، لا أفكر إلا بما يوترني، ويشد أعصابي، ويغضبني إلى حد الثورة. وما أن أدخل إلى محل عملي حتى أجد نفسي بحاجة لقضية أتولاها. أبحث في الملفات. أتفرس الوجوه. أسأل رؤسائي. حالي عندها يكون أشبه بمن فاتته جرعة من اعتاد تعاطي المخدرات. والويل كل الويل، إن لم أجد هذه الجرعة. لم يكن ليريحني إلا أن أكلف بواجب استعصى على غيري. صرت أعرف بـ (الفاتك)، وصارت المهمات الصعبة توكل لي. بدأت، بمرور الوقت، أشمئز من القضايا التي لا يستغرق إنجازها إلا الوقت القصير. أستنكف من القضايا البسيطة.

لم يكن أحد من أشقائي وشقيقاتي أو والدتي يعرف بالضبط عملي، وإن كانوا، ربما، خمّنوا ولم يتأكدوا. فقد دربتُ نفسي جيداً، أو بالأحرى دُربت على ألّا أتحدث عن طبيعة عملي. حتى عندما كنت أسئل من قبل أحدهم، كانت

إجاباتي مقتضبة. مبتورة. لا تتعدى «لا بأس بعملي، رؤسائي راضون عني، أبلي بلاءً حسناً، ودوماً أتقدم.»

والدي، هو الوحيد، الذي كان يعرف طبيعة عملي، وإن لم يكن يعرف التفاصيل. معرفته جاءت من خلال ما أقترحه هو علّي أن أعمل في هذا الاختصاص. توسط لي لدى بعض أقربائه ومعارفه من خلال علاقاته الواسعة لأن أحصل على هذه الوظيفة. كان رأيه «على عائلتنا أن تساهم، على الأقل من خلال واحد من أبنائها، بهذا العمل،» ويكمل «هذا العمل، ليس فيه فائدة للمجموع فحسب، بل هو رفع لمكانة عائلتنا، وتأكيداً لولائنا، ناهيك عن الفائدة الخاصة.»

وجدت نفسي مقتنعاً برأيه إلى حد كبير خاصة وأن رأيه كان مدعوماً بامتيازات مادية ومعنوية علقت في ذهني خلال مشواره الوظيفي الطويل كضابط شرطة. وبسبب هذه الوظيفة امتلك هذه الدار الكبيرة، وامتلك مزرعة، وثروة نقدية طائلة، ناهيك عن الامتيازات الخاصة خلال أدائه الوظيفي قبل أن يحال على التقاعد، وأبسطها سيارة حكومية بسائقها، واقفة أمام الدار لتلبي أية إشارة من أي واحد منا.

وهكذا، حصلت على الوظيفة. في البدء، وخلال الدورات التدريبية، كنت أحياناً، أحس بضيق وندمت على اقتناعي برأيه. بل أحسست، في فترة ما، بأني نفذت رغبته هو، وأني أصبحت امتداداً له. ولكن مع مرور الأيام والتدريب المتواصل صرت أتقبل العمل. ثم تحولت إلى مرحلة الارتباط به، ووجدت نفسي أخيراً أجد متعة في أدائه. وعندما يتمتع المرء بعمله فإنه يؤديه بإخلاص وتفانٍ.

لم أمنح نفسي فرصة كي أمعن النظر فيما أقوم به. ولم تكن تهمني مثل هذه الفرصة. لماذا إمعان النظر في عمل آتى أوكله؟ فها أنا ذا في مركز مرموق. مرتبي يوازي مرتبات عدة موظفين معاً من أقراني في الدوائر الأخرى. أستخدم أحدث السيارات. أنهل من المتع الحسية ما شاء لي. وفوق كل ذلك تحقق ما كان الوالد يصبو إليه. فرضت عليّ هذه الفرصة من حيث لم أرغب بها.

* * *

وفُرضت عليّ فرصة أخرى من حيث لم أرغب بها، هي الأخرى. كانت تلك بعد أيام من تلك الليلة الصيفية من اليوم الثامن، من الشهر الثامن من العام ثمانية وثمانون، حيث عمت هستيريا الفرح الجمع كله فخرج إلى الشوارع بغير ما انضباط. الإطلاقات النارية من كل الأسلحة ملئت السماء. الرقص على قرع الطبول، والتصفيق على أنغام منبهات السيارات. كانت الحناجر تطلق صرخات غير متناغمة. انهمرت المياه فوق الأجساد والسيارات والأرصفة والشوارع وكأنها تريد غسل ما علق بها من رائحة البارود دون أن تستطيع غسل الأحزان من النفوس.

كان الجمع يحتفل بما ظنه أن الموت قد توقف عن التجوال في السهول والوديان والجبال والأهوار والمدن. بُلّغنا بأن ننزل إلى الشوارع، ونطلق الأعيرة النارية معهم. نلهب حماسهم. وفي نفس الوقت علينا أن نستعير عيوناً مع عيوننا، وآذاناً مع آذاننا لرصد من يمكن أن يستغل الوضع.

بعد يوم الأيام ذلك، كان في زيارتنا صهري وأحد إخوته. جاء يستشير والدي الذي درس القانون في فترة من فترات خدمته في سلك الشرطة دون أن يمارسها، أو بالأحرى جاء يسأله عمن يمكن أن يوكل من المحامين الذين تمتد أيديهم في زوايا الدوائر الحكومية لضمان كسب قضية كان عليه أن يحسمها أمام القضاء. كان ما زال الجو العام يحمل بقايا من احتفالية مفتعلة كان عليها أن تمتد إبعاداً لستر رزايا ثمانٍ من سنوات عجاف. وعلى رأس هذه الرزايا فتح الأقفاص كي يعود من كان فيها بعد غيبة سنوات، ومعرفة أين هم من لم يكونوا في الأقفاص ولا تحت الثرى.

تجاذبنا أطراف الحديث، وطبعاً حديث الساعة كان هذا العرس الذي ما زالت العروس فيه تنتظر عريسها المُغيّب. قال الوالد:

= على هذا الرجل أن يفعل شيئاً قبل أن يفيق الناس ويطلبوا ما سكتوا عنه خلال السنوات الماضية.

رد أخو صهري عليه وابتسامة هازئة ارتسمت على محياه وبنبرة لم يكن الاستهجان مستوراً فيها:

= اطمئن يا عمي، فإن الرجل لها. هذا الرجل هو رجل المهمات هذه.

ستجدنا بعد أسابيع أو على أبعد حد بعد أشهر في عنق زجاجة جديدة.

أحسست بغضب يسري في جسدي، ولكني وكالعادة لم أُظهر منه ما يشي به. أثناء سيرنا إلى خارج البيت لتوديعهما، همست بأذن صهري دون أن ينتبه الآخرون:

= أخوك هذا يحتاج إلى أن يعيد النظر بآرائه، وإلى التحفظ في كلامه.

كنت أود أن أخبره بأن يحذر مني، ولا يعتمد على صلة المصاهرة التي تربطنا والتي لا هي ولا غيرها تعني شيئاً ضمن عملنا.

ركنت إلى غرفتي محاولاً إيجاد تفسير لما قاله هذا الذي من وجهة نظرنا حاقد موتور. ترى كم من أمثال هذه العينة موجود ضمن المجموع؟ في قناعتنا غير المعلنة كان الجميع من مثل هذا، أعداء يريدون هلاكنا، ويودون لو رأوا نهايتنا. كان علينا أن نتعامل مع الكل من خلال منظار الريبة والشك حتى لو كان البعض ضمن خط عام مرسوم بدقة. كنا غير غافلين عن حقيقة أن البعض سلك الدرب خوفاً، أو طمعاً، أو في أحسن الأحوال هو راكبٌ الموجة. لم يهمني ما قاله له أبي، فهو يعتبر نفسه جزء من المنظومة، فهو موالٍ لها حتى نخاع العظم، وما أبداه من رأي ما هو إلا رد فعل مشروع يراد من وراءه ديمومة المنظومة ودرء الأخطار عنها مهما كانت بسيطة.

* * *

صارت الأعياد تمر برتابة مملة، وصار معها التجمع في أول يوم واجباً ثقيلاً يؤديه الكل تمسكاً بتقليد في سنوات لم تعد التقاليد من الثوابت. بعض الأحفاد وصل إلى أعتاب المراهقة. ارتفعت أصوات شكوى من كل شيء مشوبة بخوف من سنوات أخرى سرعان ما يبتلع جحيمها هؤلاء المراهقين. لم يعد يهمني من حديث إلا ما يقوله والدي والذي خيّم الوجوم عليه خلال الفترة الأخيرة. نظراته

الحائرة تدل على بحثه الدائم عن الحماية. أشعر بأن الخوف بدأ يغزوه. كنت أود لو أعرف ما الذي يخفيه ويخيفه. لقد مرت بنا أيام أصعب من هذه. ما باله؟ ما الذي يراه غير الذي نراه نحن بكل ما أوتينا من إمكانيات؟ قوتنا لم تضعف وعزيمتنا لم تلن. أهو الكبر المنذر بالرحيل أخافه؟

جرت الأيام مسرعة، وتلاحقت الأحداث، وتوترت الأجواء، وأنا ماضٍ في عملي دون كلل كأني في مكان آخر وزمان آخر. إلى أن جاء، كالقدر المحتوم، ذلك اليوم، الذي كان، أيضاً في الشهر الثامن من عام غير ذلك الذي أوهمنا أنفسنا فيه أن لا طبول حرب ستقرع من جديد. نزل كصاعقة على نفوس لم تكن بحاجة إلى ما يزيدها حزناً، وعلى أرواح لم تكن بحاجة إلى ما يزيدها قلقاً. انشغل العالم بتحليلات نتائجه، ومحاولة استباق الزمن للكشف عن ردود الفعل. أهذا ما كان يريده من الرجل كي يشغل به الكل؟ أهذا ما سيؤخر المطالبة بتسديد ما أستحق من دفع؟ كنت أود أن أطرحها أسئلة لم أجد أجوبة لها، على والدي وليس على غيره. لم يسعفني الوقت حيث قضيت الأسابيع التي تلت ذلك اليوم في مقر عملي بشكل شبه دائم. كان لابد من الاحتياطات التي دُربنا على اتخاذها في مثل هكذا ظروف. لم يعد بالإمكان ملاحقة الأحداث. الزجاجة هذه المرة عنقها أضيق من سابقتها.

في إحدى الزيارات القصيرة التي كنت أقوم بها للبيت لغرض استبدال ملابسي، كنت أجلس في الصالة أشرب الشاي مع الوالد ونتجاذب أطراف الحديث على قدر ما يسع وقتي. دخل صهري وأخوه الذي بدا عليه حبور غير عادي. ما أن جلس بعد تحية المجاملات حتى بادر:

= أسمعتم آخر الأخبار؟ لقد...

قبل أن يستطرد، سأل الوالد مقاطعاً:

= هل قرر الانسحاب؟

أطلق ضحكة عرفت فيما تلا من وقت أنها كانت من باب التشفي، ثم قال:

= لقد بعث الرجل برسالة إلى حجة الإسلام، الرئيس، الأخ، يقر له بكل

شيء...

سألته مقاطعاً حديثه، وشاكاً فيما قاله:

= ما هو مصدر خبرك؟

وظننت أنه لم يسمع سؤالي عندما أكمل كلامه:

= ... وهذا ما ينطبق عليه المثل (كأنك يا أبا زيد ما غزيت).

أستدار نحوي مجيباً سؤالي:

= لقد أذاعت إذاعتهم نص الرسالة قبل ما يقرب من ساعة.

= لكن مصادرنا الإعلامية لم تذع مثل هذا الخبر.

= كالمعتاد، نسمع أخبارنا من الخارج أولاً، ثم نسمع النسخة المنقحة من الداخل. عليك بالتلفاز لعله حان وقت إذاعة الخبر.

هممت بالتلفاز، وإذا بالمذيع قد بدأ بقراءة الديباجة التي تسبق مثل هذه الأخبار. وما أن قرأ المذيع أول سطر، حتى سمعت ضحكة أخرى أطلقها معلقاً:

= صار أخاً الآن، وأصبحنا جارتين تربطنا وشائج لن يستطع الحاقدون فكها...

لم أسمع ما تبقى من حديث هذا الذي تمنيت، ساعتها، لو لم تتم المصاهرة بين عائلتينا بسببه. هذا المذيع وجه شؤم. هذا يوم نحس. هذا بيت يجب أن أخرج منه قبل أن ينفجر غضبي.

تركت الدار حاملاً حقيبة ملابسي، ولا أدري أن كنت قد ودعتهم أم لا. ظل صدى هذه الضحكة الشامتة يلاحقني إلى أن وصلت إلى دائرتي. كانت الوجوه التي قابلتها في الممر إلى غرفتي تشي بما في داخلها. صدمةٌ هي هذه الرسالة.

هاجس لازمني. بدأت سوسة الشك تنخر عقلي. وبدأت الأسئلة تطل برؤوسها من شقوق جدار بنيته منذ زمن صدّعه دوي الأحداث. أكل هؤلاء الناس الذين وقعوا تحت يدي كانوا على خطأ؟ أغلبهم أُخذ بالشبهة، وهؤلاء ليسوا معنيين بهذه الأسئلة، ولكن الآخرين الذين ثبتت نشاطاتهم، من أي زاوية كانوا ينظرون إلى ما يجري؟ وفي محاولة مني للإجابة عن هذه وغيرها من أسئلة بدأت تعمل كهراوات تنزل على رأسي، فتحتُ ثغرة في الذاكرة أمد أصابع

الخوف من خلالها مستلاً القديم من الأحداث عله يعينني.

أدهشني بعض هذه الأحداث، وخجلت من بعضها الآخر، وبعضها أثار شيئا من غضب في نفسي. اختلطت الدهشة والخجل والغضب بالكثير من الألم والأسف ونزر يسير من ندم. هذه الخلطة تحولت إلى عفريت خوف انطلق من قمقمه وأراه يتعملق. وكلما أجبت عن سؤال برز آخر أشد قسوة. لم يعد هناك من حاجة للأصابع فقد تدفق سيل القديم من الأحداث لزوجتها مقرفة ورائحتها نتنة. أحداث افتعلت. أخرى هوّلت. لُفقت. شوّهت. دُنست. خُلطت...

* * *

مرت الأيام وأنا شبه غائب عما حولي. انكمشت على ذاتي. بدأت أتشرنق. شحب وجهي، وبدأ الوهن جلياً على جسدي. زملائي، لاحظوا ذلك. سُئلت عما إذا كنت أحس بعارض ما. كنت أتحجج بالإرهاق نتيجة التواصل. مديري المباشر قال لي:

= حالما تنتهي هذه الأزمة سأمتعك بإجازة لبضعة أسابيع تعود بعدها إلينا بكامل عافيتك.

لا أدري كيف ولماذا قلت له، وكأني مغيّب الوعي:

= أتمنى أن آخذ إجازة دائمة.

لم يظهر عليه، كما دُربنا تماماً، ما ينم عن الدهشة. ملامحه ظلت حيادية وكأنه لم يسمع شيئاً. بعد هذا الحادث بأيام، قال لي:

= أنت تعرف أن الاستقالة تحتاج إلى إجراءات عديدة وموافقات خاصة، إضافة للوقت للبت بها.

كان يريد التأكد من أني عاقد العزم على هذا الأمر، وإن ما قلته لم يكن بسبب الإجهاد النفسي. ببرود لم أعهده أنا، قلت:

= فليأخذ الأمر من الوقت ما يأخذه.

= حسناً، سنبدأ الإجراءات حالما تسنح الظروف.

= أتمنى أن تسنح عما قريب.

لم يعلق بشيء، إلا أن ابتسامة، لم أكترث بما تعنيه، ارتسمت على شفتيه.

فيما تلا من أسابيع كانت الأحداث تدل على ما يدعم حدسي بأن عنق الزجاجة هذه المرة أضيق، بل أشد ضيقاً مما خمّنتُ.

بُلّغت بموعد الفحص الطبي. هذا الإجراء الدوري كان متبعاً للتأكد من سلامة كل المنتسبين لهذه الدائرة من الأمراض، والوثوق من اللياقة البدنية والنفسية. بعد إجراء هذا الفحص بأيام بدأت أحس بالإجهاد أكثر، ولازمني الصداع، وبدأت أعاني من قابلية بصري والشعور بالغثيان. وبدون أن أطلب، صدر أمر بتمتعي بإجازة لمدة شهر. في اليوم الثالث لإجازتي، زارني أحد مرؤوسي للاستفسار عن موضوع لم يحسم قبل بدأ إجازتي. كان هذا الشخص من ضمن المجموعة التي أجرت الفحص الطبي الأخير. سألته فيما لو كان هو الآخر يشكو من الألم العضلي الدائم في مكان زرق الحقنة الطبية. لاحظت عليه الاستغراب، وهو يقول:

= أية حقنة؟ لم يزرق أي منا حقنة.

استغربت أنا الآخر من الأمر، فقلت:

= أخبروني في المستشفى بأن هذه الحقنة هي للوقاية مما يمكن أن يُلوث به الجو نتيجة استخدام أسلحة متطورة فيما لو حصل تطور أدى إلى المجابهة العسكرية.

استغربت أكثر، عندما أكد لي بثقة بأن هذا الشيء لم يحصل لأي من المجموعة التي أُجري الفحص الطبي لها، ولم يجر التطرق لتلوث البيئة ولا إلى الحرب القادمة. ودعني عائداً ليترك في عقلي تساؤلاً مرعباً، هل تراهم لوثوا دمي؟ نخروا جسدي؟ رسموا نهايتي؟ لم يكتفوا بذلك بل أرسلوا هذا المرؤوس ليبلغني بذلك ويقدم لي التعازي ونعاني رسمياً.

إصدارات جديدة: جابر سليمان ومحمد الحلاج

الدَّولة الديمقراطيَّة الواحدة في فلسطين

صدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في الآونة الأخيرة إصداران، أحدهما ورقة للباحث جابر سليمان عنوانها «حروب إسرائيل على لبنان (1978-2024)». الإصدار الآخر كتاب عنوانه «حوارات في مسألة الدَّولة الديمقراطيَّة الواحدة في فلسطين» وهو من تحرير جابر سليمان، أما المقابلات التي يتضمنها الكتاب فقد أجراها د. محمد الحلاج في عام 1982.

الورقة تعقد مقارنة بين الاعتداءات الإسرائيلية الكبرى على لبنان، وأبرزها الغارة على مطار بيروت الدولي (1968)؛ عملية الليطاني (1978)؛ عملية «سلامة الجليل» (1982)؛ عملية «تصفية الحسابات» (1993)؛ عملية «عناقيد الغضب» (1996)؛ حرب تموز (2006)، والحرب على لبنان بعد قرار حزب الله فتح جبهة إسناد لمقاتلي وأهالي غزة بعد عملية طوفان الأقصى (2023-2024).

صدرت الورقة في تشرين الثاني (نوفمبر) 2024، وجاء في مقدمتها الآتي:

«تتبنى الورقة مقاربة منهجية مقارنة تعتمد خمسة معايير ومؤشرات قياس أساسية: ذرائع ودوافع الحرب وبيئتها الاستراتيجية؛ ميدان الحرب وحدوده الجغرافية؛ وضع المدنيين وقانون الحرب؛ الأمم المتحدة والدبلوماسية والمفاوضات المرافقة؛ الأبعاد الاستراتيجية للحرب على بنية الصراع وآفاقه

المستقبلية (اليوم التالي). وسنعالجها بالقدر الذي تنطبق فيه تلك المعايير على هذه الحرب أو تلك. هذا عدا عن معايير ومؤشرات فرعية، مثل: حجم الخسائر، ومفهوم النصر والهزيمة، وغيرها».

المزيد من التفاصيل على الرابط التالي:

https://www.palestine-studies.org/ar/node/1656406

أما الكتاب الثاني فقد صدر في تشرين الأول (أكتوبر) 2024. وجاء في خبر صدوره أن فيه «تسع عشرة مقابلة أجريت في الفترة بين آذار/ مارس ونيسان/ أبريل 1982، عن قضية الدولة الديمقراطية الواحدة في فلسطين، كان قد أجراها الراحل الدكتور محمد الحلاج، مع عدد من الشخصيات القيادية في منظمة التحرير الفلسطينية، وعدد من الفصائل، ومع شخصيات مستقلة من كتّاب ومفكرين وأكاديميين فلسطينيين. ظلت تلك المقابلات طيّ أرشيفه الخاص إلى ما بعد وفاته سنة 2017، إلى أن عثر عليها ابنه، إبراهيم الحلاج، وحوّلها إلى مؤسسة الدراسات الفلسطينية. وبسبب أهميتها، التاريخية والراهنة، قررت المؤسسة نشرها وتقديمها في هذا الكتاب».

المقابلات التي أجراها الحلاج كانت مع كل من: منير شفيق، شفيق الحوت، جميل هلال، بسام أبو شريف، داود تلحمي، صخر حبش، ياسر عبد ربه، فيصل حوراني، صلاح الدباغ، بلال الحسن، محمد أبو ميزر، يوسف صايغ، إلياس شوفاني، احمد نجم، تيسير قبعة، سمير غوشة، إبراهيم أبو لغد، عبد الجواد صالح، كميل منصور.

تجدر الإشارة أن المقاومة الفلسطينية طرحت في أواخر الستينيات فكرة إقامة دولة ديمقراطية لا تميز بين المسلمين والمسيحيين واليهود. لكن الموقف السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ظل يتطور، فتحدث عن إقامة دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل. وجرى الحديث عن دولة تقيم مع الأردن اتحادا كونفدراليا، وانتهي الموقف بقبول الاعتراف بإسرائيل وتوقيع اتفاقية أوسلو

التي بدأت بحكم ذاتي محدود لخمس سنوات يتقرر بعدها الوضع النهائي لمناطق الحكم الذاتي. لكن السنوات الخمس انتهت ولم يتحدد شيء، وهامش الحكم الذاتي يواصل التقلص.

المزيد من المعلومات عن الكتاب على الرابط التالي:

https://www.palestine-studies.org/ar/node/1656224

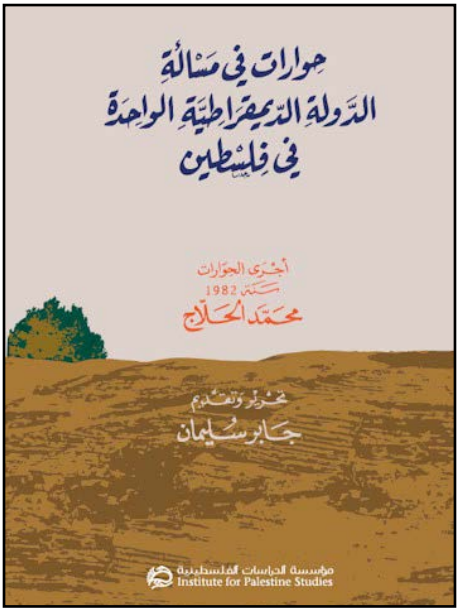

إصدارات جديدة: إنصاف قلعجي

بـاب الـحـنـيــن

صدر للقاصة والكاتبة الأردنية، إنصاف قلعجي، في الآونة الأخيرة كتاب جديد عنوانه «باب الحنين: نصوص ومقالات». الناشر: دار هبة: ناشرون وموزعون، الأردن، 2024. يضم الكتاب أكثر من مئة نص ومقالة متنوعة المواضيع، وكانت نشرت بعضها في صحيفة «المجد» الأردنية.

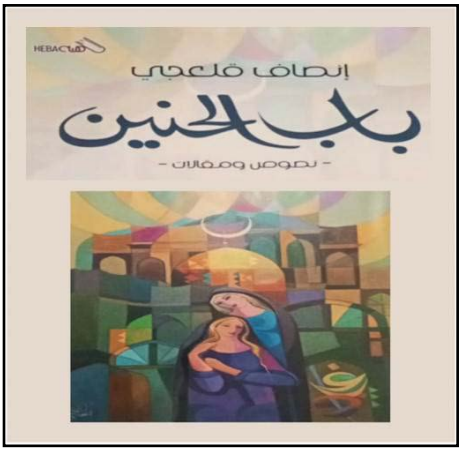

في ذمة الله

الشاعر زهير زقطان

انتقل إلى رحمته تعالى الشاعر الفلسطيني زهير خليل زقطان، يوم الخميس، 8 أيلول (سبتمبر) 2024، في عمّان، عن عمر يناهز ثلاثة وسبعين عاما.

مؤلفات زهير زقطان الشعرية والنقدية:

- **العلاقة الجريحة: دراسة نقدية لنماذج من القصة القصيرة في الأردن**. دار أزمنة، عمّان، 1995.
- **فصول قلقة**. دار أزمنة. عمّان، 1996.
- **جسور خفية**. دار الشروق، عمّان، 2006.
- **سكن متبادل**. دار ميريت، القاهرة، 2012.

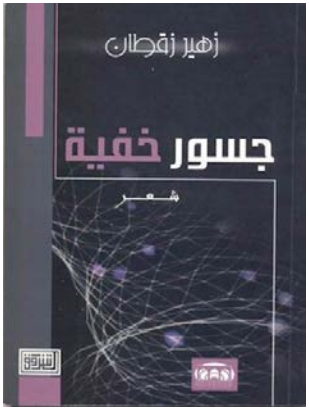

الشاعر من عائلة كل أفرادها لهم علاقة بالأدب والفن، فرب الأسرة، خليل زقطان، شاعر من الجيل الذي سبق شعراء المقاومة، وله ديوان «صوت الجياع» الصادر في الستينيات. وحقق الأبناء زهير وزهيرة وغسان ووضاح وأمل وفراس مكانة لهم في مجال الأدب أو الفن.

مختارات: رشاد أبو شاور

آه يا بيروت: نِعَم، ذلك الصوت الجنوبي

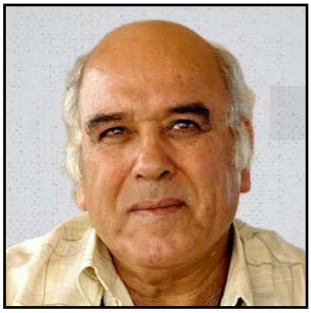

أدناه مقتطف من كتاب عنوانه «آه يا بيروت» وهو أحد مؤلفات عديدة للقاص والروائي الفلسطيني، رشاد أبو شاور، الذي انتقل إلى رحمته تعالى يوم السبت، 28 أيلول (سبتمبر) 2024، عن عمر يناهز 82 عاما. «آه يا بيروت» يتعلق بفترة الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982، والحصار الذي فرض على بيروت، والذي دام حوالي ثلاثة أشهر، وأسفر عن اتفاق بوساطة أميركية يقضي بخروج مقاتلي فصائل منظمة التحرير الفلسطينية وقادتها إلى بضع دول عربية. ويسرد أبو شاور في الكتاب ذكريات من تلك الأشهر. المقتطف أدناه متعلق بشابة من الجنوب اللبناني، اسمها نِعَم، كانت تعمل مع الفريق الإعلامي الذي عمل في إذاعة صوت الثورة الفلسطينية أثناء الحصار. تفاصيل وصورة غلاف الكتاب تحت المقتطف.

نِعَم، ذلك الصوت الجنوبي

لا، لن تقول الإذاعة إلا ويأتي وجه نِعَم البريء، إلا وتأتي ابتسامتها التي تبعث الطمأنينة، إلا ويأتي صوتها النبيل وهو يحاور المقاتلين في المحاور.

كل مقاتل في بيروت يعرف نِعَم. كل من كان يسمع صوت الثورة الفلسطينية يعرف نِعَم. يعرفها شخصيا، يعرف قلبها النظيف، يعرف الجنوب، يعرف النبطية، يعرف البحر، يعرف الشيّاح.

في الشيّاح كانت تسكن. رحل أهلها وظلت هي. وفي كل ليلة، ورغم القصف، كانت تذهب وتعيش —ولا أقول تبيت— مع أهلها هناك في الشيّاح.

دائما تحمل مسجلة الناغرا على كتفها مستعدة في كل لحظة: تحت الطائرات، تحت قذائف المدافع، وسط الحريق، وهي تأتينا بحرارة روح المقاتلين، وهم يطلبون منها أناشيد معينة، وأغنيات معينة، ويرسلون معها التحيات، وكل ما يطمئن.

ونِعَم لا تكتفي أنها تمثل، فهي تحب المسرح، وقد لعبت أدوارا حكت لي عنها وسط الدوي الكاسح، وهي تحلم بمسرحيات تؤديها أمام الناس. وهي تحكي عن فلسطين وكل شيء ببساطة وبراءة وعفوية، بلا تنظير. تقول: «هذه بلادنا، هذه أرضنا، وعلينا أن نحررها».

كنت أتساءل: ألا تتعب هذه البنت؟ حقا، لقد رأيت، أو خُيّل لي، أنها تَعِبةٌ بعض الشيء، أنها مرهقة، ولكنها لا تشكو.

عيّرنا راديو الكتائب ذات يوم بأنه لا يوجد في إذاعتنا سوى بنت واحدة، وأن هذه البنت جنوبية.

وعندما استشهدت نِعَم، أذاعت سلوى، وكأنما تواصل الدرب، وجاءت فتاة سورية وأذاعت. وفي الإذاعة، وعلى مبعدة من الاستديو المتواضع، الذي هو خزانة، نعم ضلفات خزانة، وفرشة إسفنج لمنع الصوت، وباب مفتوح. ومكان ضيق يدوب [يكاد] يتسع للمذيع، كانت تجلس الفتيات اللواتي يعملن على أجهزة اللاسلكي.

لقد سخرت نِعَم من صوت الكتائب، وقالت: «أنا من هذه الأرض، أنا بنت هذه البلاد، أنا أنتمي لفلسطين ولزمنها العربي».

ونِعَم أذاعت نشرات الأخبار، وقدمت أجمل الحوارات مع المقاتلين، وارتجلت مع بعض الشباب برنامجا لتسلية أهل بيروت في رمضان.

ونِعَم استشهدت. جاء أهلها من الجنوب قبل رحيلنا، وجلسوا مع عائلة الإذاعة في بيت الشهيد هاني جوهرية، ولم يأخذوا غير المسجّلة، مسجّلة نِعَم.

قال والدها ووالدتها وإخوتها: «نِعَم ابنة الجنوب وابنة فلسطين، هي أعطت شبابها، ونحن من أجل دمها سنظل الأوفياء لفلسطين».

ونحن؟ نحن أسرة نِعَم، ماذا سنفعل؟ من أجل دمها، ومن أجل عيون فلسطين التي أحبت، سيظل صوتنا يسري في البرية، حتى ينتهي الزمن الخراب، الزمن الطائفي، ويأتي الزمان العربي.

= = =

رشاد أبو شاور. «آه يا بيروت». بيروت: الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، 1983، ص ص 19-20

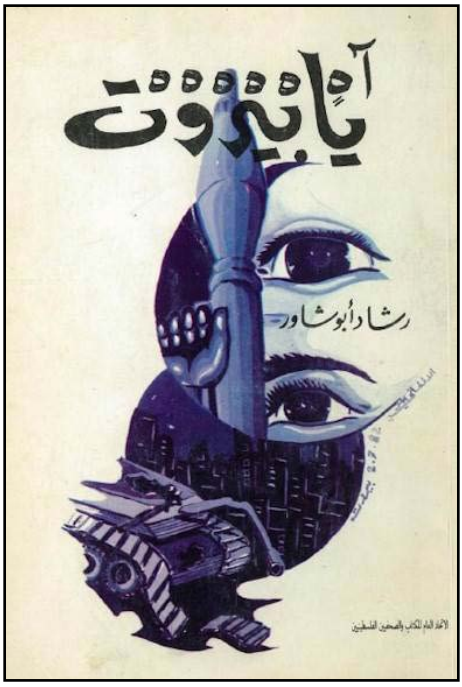

مختارات: الآنسة دنانير (فدوى طوقان)

في ليالي الملاح التائه

قراءة في ديوان للشاعر علي محمود طه

أدناه مقتطف من قراءة في ديوان «ليالي الملاح التائه» للشاعر المصري، علي محمود طه. القراءة نُشرت عام 1940 في مجلة «الرسالة» ووقعت باسم «الشاعرة الفلسطينية الآنسة دنانير». وهو الاسم المستعار الذي استخدمته الشاعرة فدوى طوقان قبل أن تبدأ استخدام اسمها الحقيقي. التفاصيل المتعلقة برقم العدد في ختام المقتطف.

شعر صاف صفاء الجدول النمير تنعكس فيه صورة نفس الشاعر، فتحس إذ تقرؤه بروح صاحبه تتغلغل في كل لفظة من ألفاظه، وتشعر بدمه يسري في كل بيت من أبياته، فإذا أنت تقرأ نفسا حية تتمثل في قصيدة، وإذا الشاعر يسمو بروحك معه إلى دنيا شعرية علوية تفيض بالجمال والجلال حتى لتنسى ما يحيط بك، وقد ملأت قلبك تلك الأخيلة البديعة التي ملأت قلب الشاعر، وأثر فيك ذلك الإلهام الذي صدر عن حسه المرهف الرقيق. وهذا هو الشعر، متى كان القلب منبعه فالقلوب مصبه. وذلك هو شعر الأستاذ علي محمود طه في ديوانيه «الملاح التائه»؛ و«ليالي الملاح التائه». وهذا الأخير هو موضوعانا الآن.

يهدي الشاعر شعره إلى الذين أطالوا التأمل في أسرار الكون، وأرهقهم التيه في مجاهل الحياة، وإلى العائدين بأنس أحلامهم إلى وحشة مضاجعهم بين اللهفة والحنين. وفي هذا الإهداء نستطيع أن نلمس تلك الروح النبيلة الهائمة وتلك النفس الرقيقة الشاعرة التي لا يفتر حنينها، نفس الأستاذ علي محمود طه.

أول ما يطالعنا في الديوان [ليالي الملاح التائه] به هو تلك القصيدة التي شرّق ذكرها وغرّب. ومن منا لم يسمع بأغنية «الجندول» التي أوحتها إلى الشاعر زيارته لمدينة فينيسيا أثناء احتفال الفينيسيين بليالي الكرنفال؟ ولعل من اللغو أن أذكر هنا هذه القصيدة لشهرتها البعيدة وذيوع صيتها.

مقطع من قصيدة «الجندول» مغناة.
غناء محمد عبد الوهاب. طول المقطع:
دقيقة واحدة. الاستماع في موقع المجلة.

أثر في نفس الشاعر طوافه في أقطار الغرب، ونحن نسمع صدى هذا التأثير يتردد في قصائده التي يصف فيها ما شاهده هناك، أو بالأحرى التي يصف فيها تأثير تلك المشاهد في نفسه الصافية وخياله الخصب.

نقرأ له مثلا: «بحيرة كومو» أو «الجندول» أو «خمرة نهر الرين»، فإذا روح الشاعر وحسه وقلبه وكل أولئك مذاب في قصائده يظهرك على مدى تأثير ذلك الطواف فيه.

يقول في قصيدة عنوانها «خمرة نهر الرين»:

كنز أحلامك يا شا == عر في هذا المكان

سحر أنغامك طوا == ف بهاتيك المغاني
فجر أيامك رف == ف على هذي المجاني
أيها الشاعر، هذا الر == ين فاصدح بالأغاني
كل حي وجماد ها هنا = = هاتف يدعو الحبيب المحسنا
يا أخا الروح دعا الشوق بنا = = اسقنا من خمرة الرين اسقنا
= = =

المصدر: «في ليالي الملاح التائه». مجلة «الرسالة». العدد 350. 20 أيار (مايو) 1940. ص ص 872-873

رابط المقالة في مجلة «الرسالة» أرشيف الشارخ للمجلات العربية.

https://archive.alsharekh.org/Articles/30/12295/241091

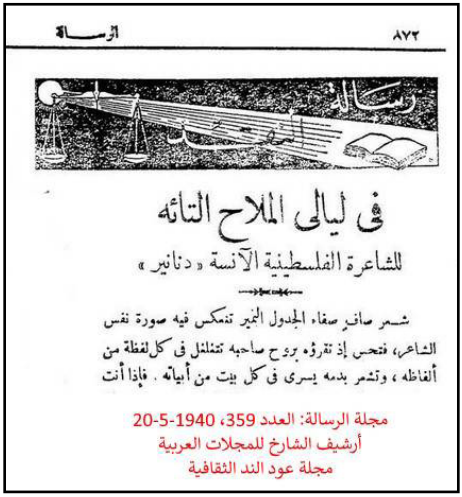
٨٧٢ الرسالة

رسالة الشعر

في ليالي الملاح التائه

للشاعرة الفلسطينية الآنسة «دنانير»

شعر صافي صفاء الجدول النمير تنعكس فيه صورة نفس الشاعر، فتحس إذ تقرؤه بروح صاحبه تتنقل في كل لفظة من ألفاظه، وتشعر بدمه يسري في كل بيت من أبياته. فإذا أنت

مجلة الرسالة: العدد 359، 20-5-1940
أرشيف الشارخ للمجلات العربية
مجلة عود الند الثقافية

غلاف العدد الفصلي 35

عن لوحة الغلاف

لوحة العدد الفصلي الخامس والثلاثين من مجلة «عود الند» الثقافية (شتاء 2025) لوحة رُسمت باستخدام تطبيق الذكاء الصناعي تشات جي بي تي، ويفترض أنها تمثل مجلة باستخدام كتاب، وتتحول بعض صفحاته عند قلبها إلى طيور.

عـود الـنــد

مواعيد صدور الأعداد

- العدد الفصلي 36 (ربيع 2025): آذار (مارس) 2025
- العدد الفصلي 37 (صيف 2025): 1 حزيران (يونيو) 2025
- العدد الفصلي 38 (خريف 2025): 1 أيلول (سبتمبر) 2025
- العدد الفصلي 39 (شتاء 2026): 1 كانون الأول (ديسمبر) 2025

«عـود الـنـد» فـي سـطـور

صدر العدد الأول من مجلة **عـود الـنـد** الثقافية مطلع شهر حزيران (يونيو) 2006. وصدرت شهريا عشر سنوات مـتـتـالـيـة.

حصلت **عـود الـنـد** من المكتبة البريطانية على رقم التصنيف الدولي للدوريات في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 2007. الرقم الخاص بـ **عـود الـنـد** هو: ISSN 1756-4212

شارك في **عـود الـنـد** كاتبات وكتاب محترفون ومبتدئون من الدول العربية والمهجر.

بعد إتمام العام العاشر، وصدور 120 عددا شهريا، تقرر تحويل المجلة إلى فصلية.

ناشر المجلة د. عدلي الهواري. له كتب بالإنجليزية، والعربية، من بينها: **الديمقراطية والإسلام في الأردن؛ تقييم الديمقراطية في الأردن؛ بيروت *1982*: اليوم «ي»؛ مقالات في السياسة الخارجية الأميركية؛ اتحاد الطلبة المغدور؛ الحقيقة وأخواتها؛ المجلات الثقافية الرقمية.**

www.oudnad.net